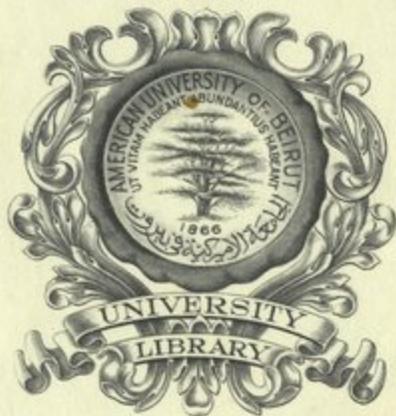


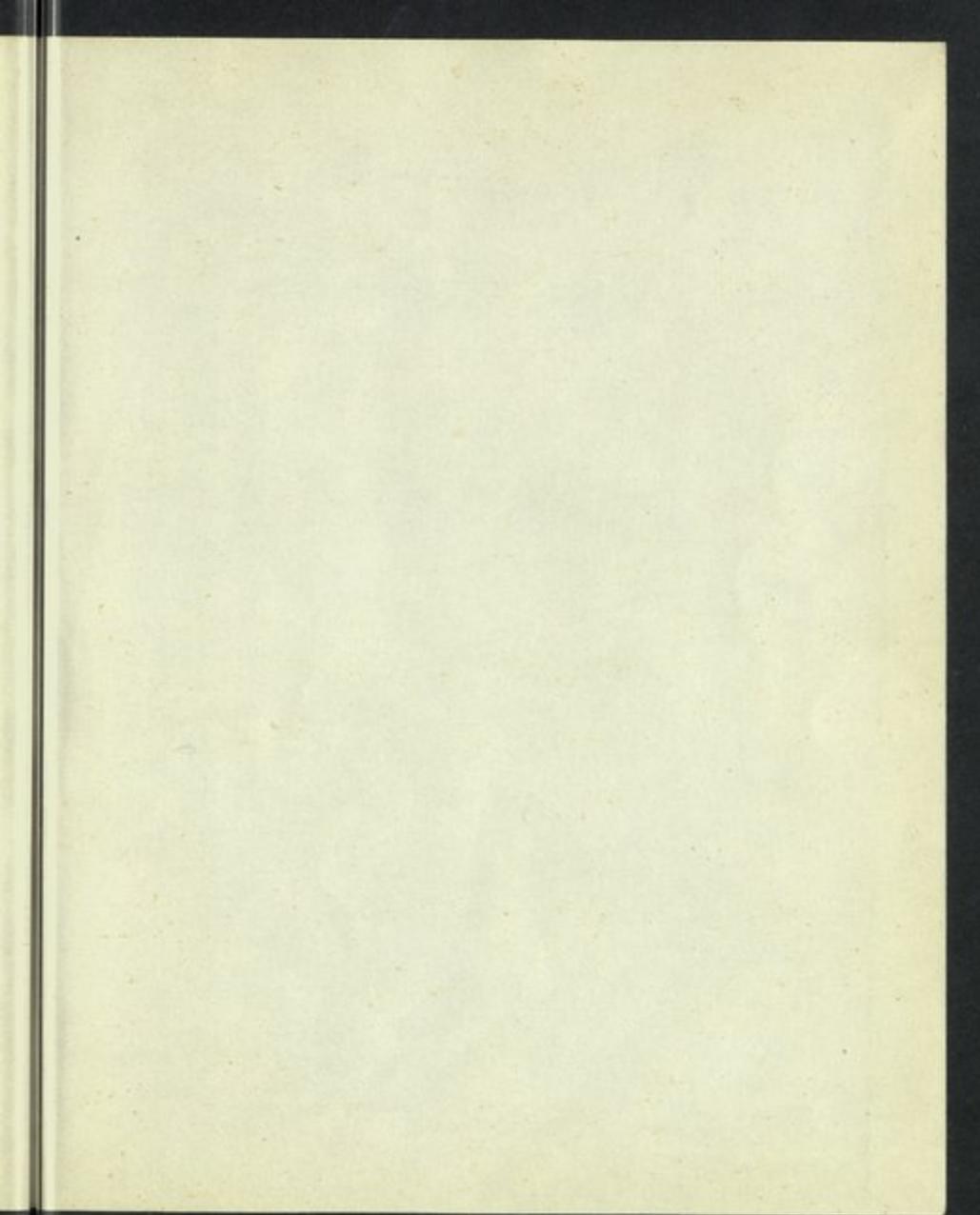
CLOSED AREA

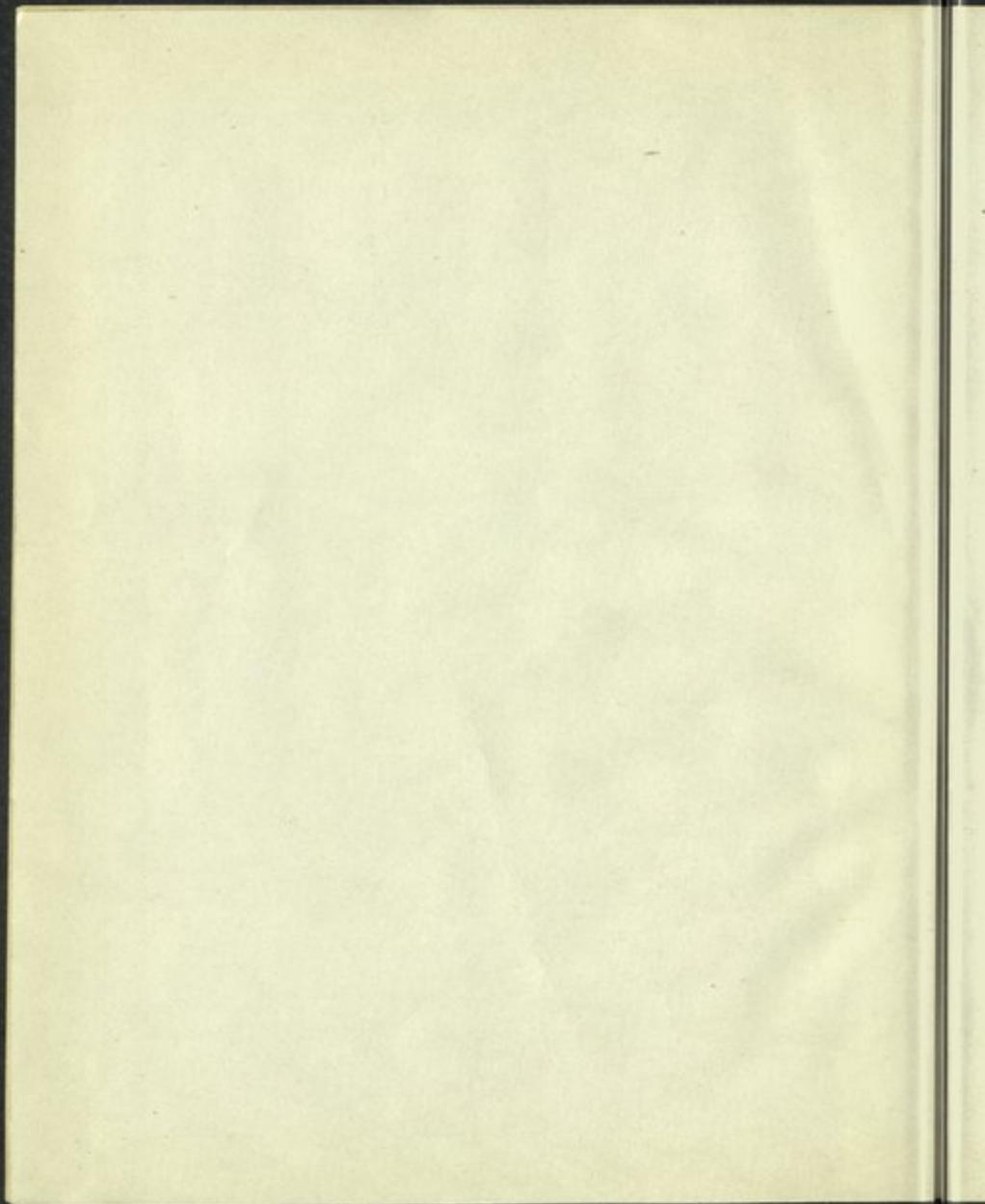
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

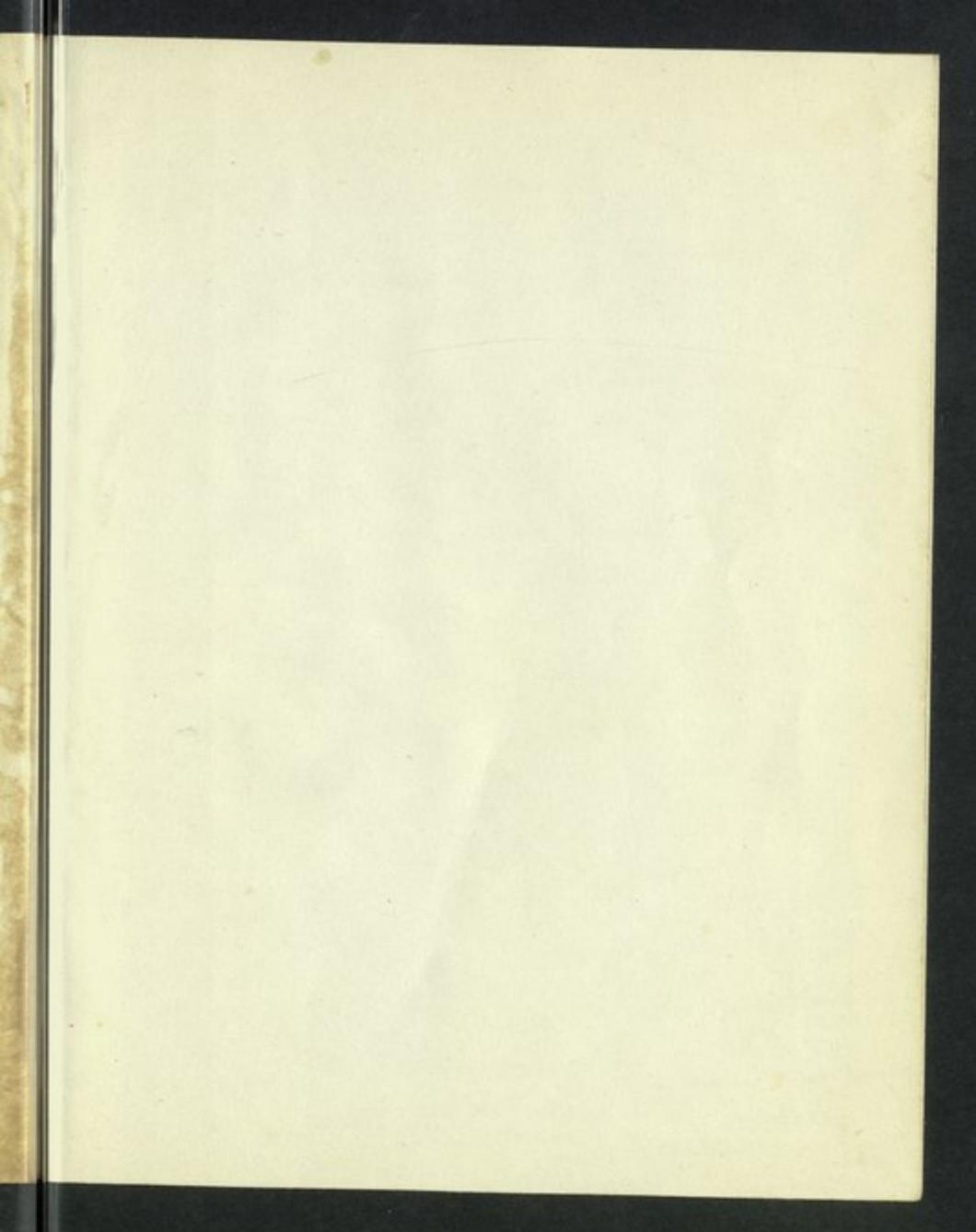


CLOSED
AREA

مكتبة
دار الفکر
طهران ۱۳۳۰







مكتبة الفقيه

186

تبرعت به - سنة 186 - 186

تبرعت به - سنة 186 - 186

مكتبة الفقيه

طبعة اولى - بوانس ايرس - 1943
طبعة ثانية - بيروت - 1947

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

بیتنا
K.H.

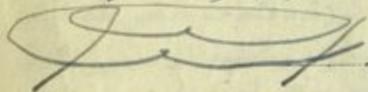
801
SUM 42A
P. 2.

الضدّاء الفكري

في

الأول السوري

كل منسوبة الجامعة الأمريكية
الدائرة انضامه

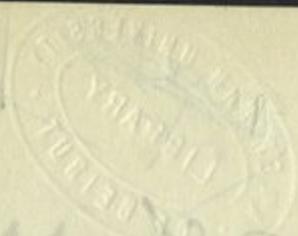


67549

1947

طبعة ثانية منقحة

بيروت



پیشوا انعام

فی

پیشوا انعام

۱۹۱۴

1914

مقدمة

في شهر مايو من هذه السنة وقعت في يدي نسخة من العدد الثاني، السنة الأولى، من مجلة «العصبة» التي كانت تصدر في سان باولو، البرازيل، وهو العدد المخصص لشهر فبراير سنة ١٩٣٥. كانت نسخة وصحة الغلاف وقد اختلفت منها صفحات عديدة والصفحات الباقية محلخلة ومهددة بالعطب. مع ذلك رأيت ان انظر في هذه الصفحات واقف على ما فيها فوجدت نص مراسلة ادبية بين ثلاثة ادباء سورين هم امين الريحاني ويوسف نعمان معلوف وشقيق معلوف. والمراسلة المذكورة عبارة عن ثلاثة كتب مشتملة على آراء وتطبيقات في الشعر والشاعر. والشعر والشاعر يدخلان في موضوع الادب الذي كان قد استلقت نظري ما يجري من تخبط وتخليط فيه.

قرأت الكتب الثلاثة المشار اليها وقرأت التعليق الاخير الذي الحقه بها شقيق معلوف حين دفعها للنشر في المجلة المذكورة. فشعرت بالنقص الفكري الكبير الذي مثلته تلك الكتب في هذا الموضوع وبالخاجة الى درس يتناول موضوع الادب في اساسه ويجلو الغوامض الكثيرة التي أسوت فيها سهام الرامة وحضت مجهودات الكتاب. على اني لم اجد منفسحا من الوقت للقيام بهذا الدرس، على الوجه الذي اريد. فعاجات صحيفة «الزوبعة» التي كان لا بد من قيامي على ادارتها وكتابة اهم مواضيعها وابعائها السياسية والاجتماعية

والفلسفية ، مضافة الى حاجات ادارة فروع الحزب السوري القومي الاجتماعي عبر الحدود ومعالجة المسائل والقضايا الكثيرة التي تعرض لها ، والى حاجات الازاعة القومية الاجتماعية في اوساط السوريين عبر الحدود ، فضلاً عن الاهتمام بتتبع السياسة الانترنسيونية وعلاقتها بالامة السورية ونهضتها القومية الاجتماعية ، كانت اكثر مما يمكنني وحدي سد ثغرانه فكيف اعمد الى توسيع دائرة الاعمال وزيادة القضايا التي تشغل فكري من غير الحاق عجز كبير بشؤون كثيرة .

بعد استعراض مستعجل لهذه الحالة قررت ارجاء الموضوع الادبي الى وقت مؤات . ومضت بضعة اشهر انجزت فيها بعض المطالب الهامة . ولكن المسائل المتعلقة بطبيعة عملي لم تنقص ، بل زادت . وفي هذه الاثناء كانت موضوع الادب يلوح امام ناظري ويطل من وراء المشاكل الادارية والنفسية والسياسية التي تعرض امامي . ولم اكن اجعل علاقة الادب بهذه المشاكل وامكانيات تذليلها بانشاء ادب جديد ، حي . ولم كنت اتألم من تقاهة الادب السائد في سورية واشعر ان فوضى الادب وبلبلة الادباء محملان نصيبا غير قليل من مسؤولية التزعزع النفسي والاضطراب الفكري والتفسخ الروحي المنتشرة في امتي . وكانت هذا التألم يحفزني لانتهاز كل فرصة عارضة للفت نظر الادباء الذين يحدث بيني وبينهم اتصال الى فقر الادب السوري وشقاء حاله وقداحة ضرره وتوجيههم نحو مطالب الحياة وقضاياها الكبرى وخطط النفس السورية في سياق التاريخ . ومن الذين اتصلوا بي في سان باولو ، البرازيل ، وافضيت اليهم برأيي ثلاثة من افراد « العصبة الاندلسية » بينهم مدير مجلة « العصبة » التي نشرت المراسلة الادبية المذكورة آنفا . كان ذلك في احد ايام يناير ١٩٣٩ ، على الارجح ، بمناسبة قيام الادباء الثلاثة المذكورين بزيارة رسمية لي . فقد سألت اولئك الادباء عن السبب الموجب لنشوء « العصبة

الاندلسية « وهل لها غرض او مذهب ادبي يجمع بين افرادها ويوحد اتجاههم . فاجاب مدير مجلة « العصبه » جواباً استوتقت منه انه لا يوجد شيء واضح من هذا القبيل . فابدت للزائرين رأيي في الامر وقد اشتمل على نظريات توجيهية جعلت احدهم يقول ، فيما بعد ، « ان الزعيم محدث ممتاز » . فتأسفت كثيراً ، لان ذلك الاديب قصر همه على مزايا المحدث دون افكاره وآرائه ، والعهدة على الناقل . ومثل هذه السابقة جعلني ازداد شعوراً بالحاجة المساسة الى بحث في الادب ومبته وفي الادب الذي تحتاج اليه سورية وخصائصه .

بين الحاج هذه الحاجة والحاح المسائل الاخرى التي لا تقتأ تردهم في مكتبي رأيت ان استنسخ اول فرصة للتوفيق بين الجاذبين . فلما فرغت من اهم المسائل المستعجلة قررت الكتابة في هذا الموضوع بالاستناد الى ما ورد في مراسلة الادباء الثلاثة المنشورة في مجلة « العصبه » . وكانت الطريقة العملية الوحيدة الممكنة ، للتوفيق بين مختلف الحاجات ، ان اكتب لكل عدد من « الزوبعة » قسماً من البحث وهذه الطريقة الاضطرابية اوجبت قطع التفكير في الموضوع عند نهاية ما يفي بحاجة عدد الجريدة والانتقال الى معالجة الشؤون الاخرى المتنوعة ، حتى اذا حان موعد صدور العدد التالي ، عدت الى الموضوع والفترة بين الانقطاع والعودة نحو خمسة عشر يوماً تنازعت فيها الفكر شواغل ومهام عديدة . فكان كل قسم جديد يكلفني جهداً كبيراً في الوصل بين اسبابه واسباب القسم السابق له . وكان من وراء ذلك فوات تفاصيل كثيرة هامة .

و كنت اريد ان احدد الموضوع بما جاء في المراسلة الادبية المشار اليها . وهو مقتمر على ناحية الشعر . ولكنني اضطررت الى تعديل هذه العزيمة بسبب اطلاعي ، بعد كتابة المقال الاول ، الذي نشر في العدد ٥٠ من الزوبعة الصادر في ١٥ اغسطس الماضي ، على آراء رهط آخر من كبار ادباء سورية ومصر

منشورة في بعض اعداد « الهلال » التي وردتني هدية من احد الرفقاء القوميين الاجتماعيين . فعرضت للادب عامة ، فضلاً عن الشعر ، وكان ذلك دائماً ضمن حدود التوفيق المذكور التي اوجبت الاقتصار على الاساسي ، الضروري والاستغناء عن الاسهاب والتفاصيل الواسعة المجال ، التي رأيت تركها لاستنتاج المفكرين والادباء .

انتم هذا البحث في ثمانية اقسام تشبه المقالات نشرت متلاحقة في ثمانية اعداد من « الزوبعة » ابتداء من العدد الصادر في ١٤ اغسطس وانتهاء في العدد الصادر في ٦ ديسمبر ١٩٤٢ . وفي اثناء نشر الاقسام المذكورة وردتني رسائل من ادباء ومن بعض محبي الادب يبدي فيها اصحابها اهتمامهم للبحث ورغبتهم في اقتنائه . وبعض هذه الرسائل حمل اقتراح طبعه مجموعاً في كتاب على حدة ، تعميماً للنظريات الواردة فيه . فوافق ذلك رغبتي وانتمت اول فرصة لاصدار هذا الكتاب .

وقد عنيت برابعة البحث وتنقيحه وتصحيحه من الاغلاط التي وقعت عند نشره في « الزوبعة » واخذت اليه ملاحظات جديدة قليلة لم ترد في « الزوبعة » . وفي هذه الناحية صعوبات اخرى ناتجة عن نظام المطابع السورية في بوانس ايرس وكيفية عملها .

بوانس ايرس ، في ٢٥ ديسمبر ١٩٤٢ .

انطون سعادة

١٩٤٢ ١٥

مقدمة الطبعة الثانية

وصلت الى الوطن نسخ قليلة من الطبعة الاولى ، التي طبعت في
بوانس ايرس ، فاثارت اهتمام الادباء والدارسين والطلبة والايواساط التي لها
عناية بالشؤون الادبية وتطور الفكر في سورية واقترح علي طبع الكتاب
ثانية ليتسنى للراغبين في الادب اقتناؤه . فنقحت الكتاب ودفعته للطبع

الشوير ، في 15 يونيو 1947

المؤلف

هذه لنا اتميلها اتميلقه

في سنة ١٢٠٠ هـ في شهر ربيع الثاني
بمدينة القاهرة في دار
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
الذي كان يقيم في دار
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
في سنة ١٢٠٠ هـ في شهر ربيع الثاني
بمدينة القاهرة في دار
الشيخ محمد بن عبد الوهاب
الذي كان يقيم في دار
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

محمد بن عبد الوهاب

تخبط وفوضى

تَخْبِطُ وَفَوْضَى

صفحة لينة

تخطيط وفوضي

تقديم البحث في « الزوجة »

نشرت مجلة « العصبه » التي كانت تصدر في سان بولو ، البرازيل ، في عددها الصادر في فبراير سنة ١٩٣٥ ثلاثة كتب تدور على ديوان « الاحلام » للشاعر شفيق معلوف نزيل سان بولو ، البرازيل ، وقد لفت نظري الاحتكاك والتصادم الفكريان في الشعر واغراضه المذان اثارهما ظهور « الاحلام » ورأيت انها يفتحان الباب لبحث يجب ان يحيا ويجد اهتماماً كبيراً في دوائر التواقين الى المعرفة والفهم والراغبين في الارتقاء الثقافي الذي يمكن الامم من ابراز افضل مواهبها والصعود الى قنة مجدها . والى القارئ الكتب المذكورة وتعليق الشاعر الاخير عليها حين سلمها للنشر ، كما وردت في مجلة « العصبه » المحتجة :

- ١ -

من كتاب الريحاني

عن الفريكة في ١٢ نيسان ١٩٢٦

عزيزي شفيق المعلوف حفظه الله

اشهد انك شاعر . ولكنك في « الاحلام » بعيد عن كنه الحياة والمقاصد الكبرى فيها . قد كانت هذه اللهجة - لهجة الكتابة والحزن - « موضة » في زمن بيرون وميسه . وهي في الشرق ، خصوصاً فينا نحن السوريين ، داء

دفين . فما فضل الشاعر وهو بيكي ويشن مثل عامة الناس ؟ ..
اما من النظر الفني ففي « احلامك » كثير من بديع التصور ، وجميل
الحيال ورقة التعبير ، ونعومة الديباجة . ولكنك مقلد يا صديقي . ولا اقول
مقلد لجبران وهو مثلك في دموعه من المقلدين - اقرأوا اشعبا بدل ان تمسوا
ارواحكم في دموع ارميا . عودوا الى شكسبير وغوته - اذا كان لا بد من
العود - بدل ان تحرقوا اصابعكم وما يقمكم في مراحل ميسه ويرون .
ليس الشاعر « زنبقة في جمجمة » ان في ذا التصور غلوا فيه سقم وليس فيه
شيء من الحقيقة والجمال . ان فيه تحقير للجنس الانساني ، وانا وانت وجبران منه
والحمد لله . وان في الكون وفي الحياة جمالا اسمى وابهى واعظم واجل من جمال
الزنبقة اللطيف المحدود ، وانت وانا وجبران ، والشمس والقمر والمجرة ،
لمعات مجسدة من ذلك الجمال والحمد لله .

اما الشاعر فهو من الناس ، من صميم الناس . وليس من ظن نفسه
فوق الناس بابت عم لابن عم اصغر الشعراء . انما الشاعر الحقيقي مرآة
للجماعات ، ومصباح في الظلمات ، وعون في الملمات ، وسيف في النكبات .
الشاعر الحقيقي يشيد للامم قصوداً من الحب والحكمة والجمال والامل .
كفكفوا دموعكم سلمكم الله . وارفعوا لهذه الامة التي تتخبط في الظلمات
مشعلا فيه نور ، فيه امل ، فيه صحة وعافية . وان في الصحة حياة جديدة .

صديقك

امين الريحاني

عزيزي شفيق

... وددت لو يسمح لي الوقت بابداء بعض ملاحظاتي مطولا في ديوانك ولكن ما اريده لا يتاح لي فنحن هنا عبيد اوقاتنا ، غير ان ذلك لا يعني من ابداء رأيي في اشياء جوهرية اريدك ان تعيرها جانب الاهتمام .
اعتن في مؤلفاتك المقبلة ان تكون مبتكراً فيما تزرع اليه سواء كان بالفكر او بالعمل وان تكون مقلداً (بفتح اللام المشددة) لا مقلداً (بالكسر) في سائر اعمالك لان على هذه القاعدة الاساسية تتوقف شهرة المرء في الحياة وقبل كل شيء اترك الخيال الذي لا روح فيه ولا حقيقة . واطرق ابدأ المواضيع الجيوبة والعمرانية وشهر شهيراً لا تحشى معه لوم السلوام مواضع الضعف في الامة مشيراً الى كل ضعف في اخلاقها وخلل في عاداتها ونقص في كيانها على سبيل حب الاصلاح المجرد ليس الا وان لا تعود حياتك كلها في ما تكتب الى البكاء والنواح علي الطلول البالية والآثار الخربة كما يفعل اكثر الكتبة الشرقيين ولا سيما الشعراء منهم بل كن ذاك الرجل المفكر في الحياة وما تتطلبه الحياة من عوامل الرقي واسباب العمران ولا تكن شرقياً في خيالك وعملك بل المس بيدك ابدأ حقائق الوجود واسع الى العمل بها دائماً وفي كل حين لان فضاء الشرق يمتاز عن كل فضاء . كانه خيال بخيال يوحى الى المرء ما لا يوحيه فضاء آخر في الوجود فمنه اوحيت الاديان وظهر الانبياء ونشأت خيالات الارواح على تعداد منازعها وكثرة معتقداتها فكان شرأ في الحياة على نفسه وعلى غيره - فكن يا شفيق اذا رجلا يؤخذ بالحقيقة لا يضل الخيال ...

عمك

يوسف نعمان معلوف

جواب صاحب « الاحلام »

عن زحله في ١٥ ايلول سنة ١٩٢٦

سيدي العم الفاضل

... اما ما ذكرتموه عن « الاحلام » فقد اعترته كل اهتمامي منزلاً رابكم من نفسي اجل منزلة ، واما ان اكون « مقلداً (بفتح اللام المشددة) لا مقلداً (بالكسر) في سائر اعمالى » فهذا ما طمحت اليه منذ ترعرت ونشأت . فكنت واسع العقيدة في وجوب تجديد الشعر العربي وبث روح حديثة فيه ، ولئن طرقت بابا ولجه سواي فهل في كل ما تتناوله القرائح ما لم يطرقت الناس بابه ؟ وهل اذا اتفق لرسام ابراز صورة عاجلها من قبله آخرون فاستحدثت لها الوانا وابتكرها رموزاً واشكالا تقوم فننكر عليه فنه وابتكاره ، لان الصورة حملها قبل لوحه لوح وخطرت لسواه في محبلة ؟

اما ان اترك في شعري « الخيال الذي لا روح فيه ولا حقيقة ، واطرق المواضيع الحيوية والعمرانية » فلا اخفي عنك يا سيدي العم الكريم ، مع احترامي لرأيك الاعلى ، ان لي رأياً آخر في الشعر . فهو في عرفي ذلك الشعور النابض يصور للناس نفوس الناس ، ولا تتعدى فائده - في احايين كثيرة - منفعة بصيها المرء لدى سماع قطعة موسيقية جميلة ، مطربة كانت ام مشجية . وقد اكون على خطأ من الوجه العالمي النافع ، ولكنني على حق من وجهة الفن الخالد .

ان للوطن كتابه وصحافيه وله اقلامهم المرفهة وقرائحهم المشجودة . اما ان يسير الشاعر مع الحالات الطارئة فيبعث من حوله ضجيجاً يزول بزوال تلك الطوارئ ، فهذا ما لا اسلم به اذ ليس الشاعر في عرفي من ضج

له الجليل الواحد حتى اذا تبدلت الاوضاع واختلفت الاحوال تناسته ممن بعده الاجبال .

انا عالم ان الشرق لا يحتاج الى الفن حاجته الى المواضيع الجبوية العمرانية ولكن هذه المواضيع ترتبط بالزمان ياسيدي العم الكريم ، وانا من هواة الشعر الخالد الذي لا يرتبط بالازمنة ...

المخلص

شفيق معلوف

حاشية - في ٢٢ شباط سنة ١٩٣٥

مضى على هذه الكتب الثلاثة زمن غير قصير ، ولو طلب الي الان رايبى في ما انكره علي الكاتبان الكبيران من الكتابة والشكوى في قصيدة « الاحلام » لانكرت معهما على نفسي ذلك الاسلوب لو ان « الاحلام » كانت من منتوج العهد الحاضر . اما وهي قد نظمت في زمن لم اكن قد تجاوزت فيه الثامنة عشرة من العمر ، تحت تأثير طور الفتوة المكتنف بالظلمات والحيرة وقلق النفس ، فانني اراها صورة حقيقية لنفسيتي في ذلك الحين كما يصح ان تكون صورة لنفسية معظم الفتيان ، وهذا ما يجيبها الي ويجعل لها قيمتها في نظري .

شفيق معلوف



اعتقد ان الموضوع الذي طرقته الكتب الثلاثة لا يجوز ان يبقى في هذه الحدود الاولية التي ورد فيها فالمعاني فيها كلها نتف مقتضبة لا تسد حاجة ولا تشفي غليلا . واذا كان يشفع في اقتضاها انها كتب خصوصية فلا يشفع شيء بالمرور بها دون تناولها بالدرس وتخص الافكار الواردة فيها . ولا اعتقد الحاشية التي ضمنها الشاعر تعليقه على كتابي منتقدي ديوانه بالغة الغاية التي يمكن ان تطمئن اليها نفس من لا يقنع من عظمة البحر بوشل ولا من سعة الافق بحيز حدده المستوى الداني الماضي .

لا اطمح الى قول كل ما اورد قوله في الادب وفي الفن في ابعدا ممكن ويمكن النظرة الانسانية العليا بلوغه ، وجميع ما ينطوي تحت ذلك من اشكال والوان ، في عجلة اكتبها في صحيفة تلح عليها المطالب السياسية وحاجات التفكير القومي في القضايا الاجتماعية - الاقتصادية ، تحت ضغط الظروف الحاضرة التي تحملي من اعبائها ما لو زاد اكثر من نسبة قشة النين الى الوقر لارهقني وارزحني . ولكنني لم اجد بدا من قول شيء في الموضوع لابقائه حيا ولترغيب الابداء في الاقبال عليه ولا مندوحة عن ابداء بعض ملاحظات خطرت لي فور قراءتي الكتب المثبتة آنفا .

أبدأ بكتاب الريحاني . ان فيه مواضع تحتاج الى تدقيق كثير . والاحظ ان في هذا الكتاب تعبها واطلاقا يجر فان الكثير من التفاصيل التي تبقى الحقيقة الكبرى الاساسية ناقصة نقصا كبيرا بدونها وبطل الفكر قلعا لا يجد استقرارا واطمئنانا الا بوجودها وجلالها .

نظر الريحاني في « الاحلام » فوجده ديوانا تسوده « لهجة الكآبة والحزن » ووصف هذه « اللهجة » بانها كانت « موضة » في ايام بيرون وميساء . وليس ديوان « الاحلام » في متناول يدي لاقابل هذا الوصف

عليه واجد كما فيه من تدقيق . ولكنني اذكر اني قرأت هذا الديوان قراءة مستعجلة من نحو اربع عشرة سنة او يزيد واذكر ان التأثير الذي احدثه في هو تأثير نبضات الاحساس الاول وقد انقشعت حجب المراهقة عن فزجة الشباب فتازجت فيها الاشواق والرغبات التي اتخذت صوراً من الجمال قوية ولاذعة احبباً ولكنها صور ظهرت فيها شاعرية جديدة بان تحمل موضعاً مكنياً في النفوس وفي الاجيال . ومع ذلك فلا بد من القول ان تعبير « لهجة الكتابة والحزن » الذي اطلقه الريحاني هو من التعميمات التي لا تفيد كثيراً في دراسة معينة او مختصة بموضوع معين . وهو بعيد كل البعد عن تناول الوجهة النفسية واسبابها .

ومن هذا القبيل انتقاله من مخاطبة صاحب « الاحلام » الى مخاطبة جميع الشعراء السوريين فيقول لهم « اقرأوا اشعيا بدل ان نفسوا ارواحكم في دموع ارميا . عودوا الى شكسبير وغوته بدل ان تحرقوا اصابعكم وما فيكم في مراحل ميساء وبيرون . ولو كان قبل هذا الكلام في غير معرض النظر في ديوان « الاحلام » لكان اطلاقه هذا الاطلاق غير المحدود يجرد موضعاً امنع من موضعه الحاضر ، لانه يكون حينئذ كلاماً عمومياً يفهم منه من شاء ما يشاء اما في موضعه المذكور فهو قليل المحصل . ولا يزيد المحصل من كلام الريحاني قوله ان الشاعر ليس « زنبقة في جمجمة » ولا قوله « انما الشاعر الحقيقي مرآة الجماعات ومصباح في الظلمات وعون في الملمات وسيف في النكبات . الشاعر الحقيقي يشيد للامم قصوداً من الحب والحكمة والجمال والامل »

هذا الكلام الاخير الذي يحاول الريحاني ان يخرج به من السلبية الصكراتية (السقراطية) الى النظرة الايجابية يزيد التعميمات السابقة تعميماً .

ويمكن ان يحسب من قبيل المعميات وليس فيه ادنى اقتراب من شجون الموضوع التي لكل شجن منها اتجاه خاص .

الحقيقة ان هذا الكلام لا يتعلق بديوان « الاحلام » بقدر ما يتعلق بالشعر والشاعر على الاطلاق . وهو مرسل ارسالاً لا لتحقيق فيه ولا تدقيق وليست فيه حقيقة اساسية واحدة يصح اعتمادها « لتشييد قصور من الحب والحكمة والجمال والامل » للامم التي تهدمت قصورها او لم يكن لها قصور . فاني لا اعتقد ان شعراء سورية يصيرون غير ما هم بقراءة سفر اشعيا وترك قراءة سفر ارميا . والعودة الى شكسبير وغوته وحدها لا تفيد كثيراً اذا لم تكن هنالك ثقافة واعية فاهمة تتبع خطط النفس السورية . وماذا استفاد ادب اللغة العربية كله من عودة الشاعر المصري شوقي الى شكسبير غير النسخ والمسخ والتقليد الذي لم يضيف الى ثروة الادب العالمي مقدار حبة خردل ؟

اما قول الريحاني « الشاعر الحقيقي مرآة الجماعات ومصباح في الظلمات » فقلت انه من قبيل المعميات ولم يصعد بنا درجة واحدة فوق قول جبران « الشاعر زنبقة في جمجمة » فمرآة الجماعات لا يكونها الشاعر وحده او كل شاعر وقد قال الدكتور خليل سعادة : « صحافة كل امة مقياس ارتفاعها وصورة اخلاقها ومظهر شعورها وعنوان مجدها فهي المرآة التي ترى بها الامة نفسها » ومصباح الظلمات يكونه الفيلسوف والفنان والاديب والشاعر والقائد والعالم وكذلك « عون في الملمات وسيف في النكبات » . ويكونه كل واحد من هؤلاء بطريقة خاصة . وفي هذه الحقيقة يكمن سر لا يجلوه كتاب الريحاني ولا شيء مما كتب الريحاني . فقد عاد الريحاني الى هذا الموضوع في كراس عنوانه « انتم الشعراء » قبح فيه البكاء والعيوب

تقييحا كثيرا ولكنه لم يعط الشعراء درسا واحدا يوجههم توجيها جديدا ، لان كلامه كان كله من هذا النوع الغامض المشوش الذي يشبه دعوة الداعين الى الاتحاد القومي من غير فهم او تعيين لما هي القومية وما هي مقوماتها .

اترك كتاب الريحاني عند هذا الحد وانتقل الى كتاب السيد يوسف نعمان معلوف . والذي اراه في هذا الكتاب انه يشتمل على آراء فجة او مبتسرة مستمدة من الحياة الاميركانية العملية ذات الطابع الانغلو سكسوني وليس فيه شيء من العمق لخلوه من النظرة الفلسفية او التاريخية . وهذه الآراء الواردة فيه هي مزيج من نزعة فردية ورغائب عملية واحكام عامة استبدادية كقوله « فمنه (الشرق) اوحيت الاديان وظهر الانبياء ونشأت خيالات الارواح على تعدد منازعها وكثرة معتقداتها فكان شرا في الحياة على نفسه وعلى غيره »

تظهر النزعة الفردية بجلاء في قوله : « اعتن في مؤلفاتك المقبلة ان تكون مبتكراً فيما تنزع اليه سواء كان بالفكر او بالعمل وان تكون مقلدا (بفتح اللام المشددة) لا مقلدا (بالكسر) في سائر اعمالك لان على هذه القاعدة الاساسية تتوقف شهرة المرء » فكان الشهرة الفردية صارت الغاية الاخيرة المتوخاة من الفكر او العمل وكان اهم شيء في طبيعة الفكر او العمل ان يكون المرء غير تابع غيره وان يكون متبوعاً . وهي قاعدة فردية بحت لعل الدافع اليها ان المتكلم عم المخاطب وبه امره الشخصي استنساكا بعروة القرابة الدموية التي تنزع الى المباهاة والمفاخرة كما هو مشهور في قبائل العرب . ومع ان المخاطب ، وهو الشاعر المتقدم ، قبل هذه الفكرة الفردية في جوابه الى عمه فهو لم يتقيد بها كل التقيد الظاهر في كلام عمه فالتقى عليه هذا السؤال : « ولئن طرقت بابا ووجه سواي فهل في كل ما تناوله القرائح ما لم يطرق الناس بابي ؟ » وهو سؤال يكاد يصل الى طرق باب يفتح عن افق تنبلج فيه انوار فجر تفكير

اصلي جديد ، ولا يقتر الا خطوة او قفزة واحدة ليلج هذا الباب . ولكنها خطوة او قفزة تفضل بين عالمين وقد تشبه نوعا القفز فوق العارضة العالية او السور بالاستعانة بعكاز طويلة خاصة بهذا الغرض .

والرغائب العملية هي التي تجعل عم الشاعر يقول له هذا القول :
« وقبل كل شيء ، اترك الخيال الذي لا روح فيه ولا حقيقة واطرق ابدا
المواضيع الحيوية والعمرائية الخ » . فمحصل كلامه ان الخيال هو دائما لا
روح ولا حقيقة فيه ، وان الشعر هو كله خيال . وهناك تحول انتقاده الشاعر الى نوع
من تقييد الشعر والاشارة على نسيبه بوجوب تركه والانتقال الى طرق
« المواضيع الحيوية والعمرائية ... ومواضع الضعف في الامة مشيراً الى
كل ضعف في اخلافها وخلل في عاداتها ونقص في كيانها » . وكل ذلك
لا يدخل له في الشعر والشعراء ولا يختص الابداع الاجتماع والنفس والسياسة .
ولولا هذا التخصص التوجيهي لكان امكن التساهل في عبارة المنتقد السابقة
واعبارها مفيدة ترك نوع الخيال الذي لا روح فيه ولا حقيقة من اجل الاخذ
بنوع من الخيال فيه روح وحقيقة . وقد احاب الشاعر في الرد على هذا
الكلام من وجهة الشعر ، خصوصاً قوله : « ان للوطن كتابة وصحافيه وله
اقلامهم المرهفة وقرائحهم المشحوزة . اما ان يسير الشاعر مع الحالات الطارئة
فيعت من حوله ضجيجاً يزول بزوال تلك الطوارئ . فهذا ما لا اسلم به ، اذ
ليس الشاعر ، في عرفي ، من ضج له الجبل الواحد ، حتى اذا تبدلت الاوضاع
واختلفت الاحوال تناسه من بعده الاجيال ، فهذا كلام من يشعر برسالة
الشاعر الاسمي والفنان الذي من اهم صفاته الابداع عن طريق التصور
(الخيال) وهو اقوى كثيراً من قوله ان مهمة الشاعر هي « تصوير نفوس
الناس للناس » الذي هو مرادف لقول الريحاني ان الشاعر « هو مرآة الجماعات »

وقد يكون متأثرآ به . ولكنه مخالفت له عند التفصيل ، لان « مرآة الجماعة » قد تعني « نفس الجماعة » اما « نفوس الناس » فيرجح انها تعني نفوس الافراد . والعبارتان ضمن الحدود التي قبلتا فيها ، ضعيفتان لانها لا تشتملان على اية قضية نفسية علمية او فلسفية او على ادراك مضبوط لنفس الجماعة ونفس الفرد والفرق بينها . والعبارة الثانية ، من هذا القبيل ، اضعف من الاولى لانها اكثر تعميماً وهي لذلك اكثر عموضاً . ولكن اذا اخذنا هذه العبارة على وجه التدقيق ونظرنا اليها نظرنا الى معنى مقصود بعينه وجدنا انها اقوى ، في ذاتها ، من عبارة الريحاني ، لانها ابرزت لفظة « النفس » التي تدل ، سواء اكانت مفردة او مجموعة ، على اقوى واسمى ما في الانسان ، بينما عبارة الريحاني لا توجب الدخول في المسائل النفسية وقد تعني ابراز شؤون الجماعة وعاداتها .

من الغريب ان الشاعر الذي قال القول القومي المذكور آنفاً ، في صدد الشاعر ورسالته ، لم يجد بعد مضي تسع سنوات ونيّف ، ما يزيد عليه او يكون شبه استمرار له ، وانه اكتفى بالقول في تعليقه الاخير على كتابي منتقديه انه لو طلب اليه زايه الآن لكان « انكر على نفسه ما انكره عليه الكاتبان الكبيران من الكتابة والشكوى » .

✕ لا يقتصر التضارب والتخبط في حقيقة الشعر وحفته ، اللذات دلت عليها في ما تقدم من هذا البحث ، على الابداء الثلاثة السوريين المذكورين آنفاً ، بل هما يشتملان اكثر الابداء اللامعين ، ان لم يكن كلهم ، في العالم العربي . فقد كان من حسن حظي وانا في هذه البلاد التي قضت الظروف ان تتوقف فيها رحلتي المرسومة ، اني تسلمت هدية كتبية من اخد الرفقاء الفيورين فيها بعض مجموعات « الهلال » وبيننا انا اقلب صفحات بعض اعداد ١٩٣٣ ، بعد كتابة الحلقة السابقة ، وقع نظري على رأي للدكتور

اصلي جديد ، ولا يقصر الا خطوة او قفزة واحدة ليلج هذا الباب . ولكنها خطورة او قفزة تفضل بين عالمين وقد تشبه نوعا القفز فوق العارضة العالية او السور بالاستعانة بعكاز طويلة خاصة بهذا الغرض .

والرغائب العملية هي التي تجعل عم الشاعر يقول له هذا القول :
« وقبل كل شيء اترك الخيال الذي لا روح فيه ولا حقيقة واطرق ابدا
المواضيع الحيوية والعمرانية الخ » . فمحصل كلامه ان الخيال هو دائما لا
روح ولا حقيقة فيه ، وان الشعر هو كله خيال . وهناك تحول انتقاده الشاعر الى نوع
من تقييد الشعر والاشارة على نسيبه بوجود تركه والانتقال الى طرق
« المواضيع الحيوية والعمرانية ... ومواضع الضعف في الامة مشيراً الى
كل ضعف في اخلاقها وخلل في عاداتها ونقص في كيانها » . وكل ذلك
لا يدخل له في الشعر والشعراء ولا يختص الابداء والاجتماع والنفس والسياسة .
ولولا هذا التخصيص التوجيهي لكان امكن التساهل في عبارة المنتقد السابقة
وأعبارها مقيدة ترك نوع الخيال الذي لا روح فيه ولا حقيقة من اجل الاخذ
بنوع من الخيال فيه روح وحقيقة . وقد اصاب الشاعر في الرد على هذا
الكلام من وجهة الشعر ، خصوصاً قوله : « ان للوطن كتابة وصغافيه وله
اقلاتهم المرهفة وقرائعهم المشحودة . اما ان يسير الشاعر مع الحالات الطارئة
فبيعت من حوله ضجيجاً يزول بزوال تلك الطوارئ . فهذا ما لا اسلم به ، اذ
ليس الشاعر ، في عرفي ، من صج له الجبل الواحد ، حتى اذا تبدلت الاوضاع
واختلفت الاحوال تناسه من بعده الاجيال » فهذا كلام من يشعر برسالة
الشاعر الاسمي والفنان الذي من اهم صفاته الابداع عن طريق التصور
(الخيال) وهو اقوى كثيراً من قوله ان مهنة الشاعر هي « تصوير نفوس
الناس للناس » الذي هو مرادف لقول الريحاني ان الشاعر « هو مرآة الجماعات »

وقد يكون متأثرآ به . ولكنه مخالفت له عند التفصيل ، لان « مرآة الجماعة » قد تعني « نفس الجماعة » اما « نفوس الناس » فيرجح انها تعني نفوس الافراد .
والعبارتان ضمن الحدود التي قبلتا فيها ، ضعيفتان لانها لا تشتملان على اية قضية نفسية علمية او فلسفية او على ادراك مضبوط لنفس الجماعة ونفس الفرد والفرق بينها . والعبارة الثانية ، من هذا القبيل ، اضعف من الاولى لانها اكثر تعميماً وهي لذلك اكثر عموضاً . ولكن اذا اخذنا هذه العبارة على وجه التدقيق ونظرنا اليها نظرنا الى معنى مقصود بعينه وجدنا انها اقوى ، في ذاتها ، من عبارة الريحاني ، لانها ابرزت لفظة « النفس » التي تدل ، سواء اكانت مفردة او مجموعة ، على اقوى واسمى ما في الانسان ، بينما عبارة الريحاني لا توجب الدخول في المسائل النفسية وقد تعني ابراز شؤون الجماعة وعاداتها .

من الغريب ان الشاعر الذي قال القول القوي المذكور آنفاً ، في صدر الشاعر ورسالته ، لم يجد بعد مضي تسع سنوات ونيف ، ما يزيد عليه او يكون شبه استمرار له ، وانه اكتفى بالقول في تعليقه الاخير على كتابي منتقديه انه لو طلب اليه رآيه الآن لكان « انكر على نفسه ما انكره عليه الكاتبان الكبيران من الكتابة والشكوى » .

لا يقتصر التضارب والتخبط في حقيقة الشعر وصفته ، اللذان دلت عليها في ما تقدم من هذا البحث ، على الادباء الثلاثة السوريين المذكورين آنفاً ، بل هما يشتملان اكثر الادباء اللامعين ، ان لم يكن كلهم ، في العالم العربي . فقد كان من حسن حظي وانا في هذه البلاد التي قضت الظروف ان تتوقف فيها رحلتي المرسومة ، اني تسلمت هدية كتيبة من اخد الرفقاء الفيوريين فيها بعض مجموعات « الهلال » وبينما انا اقلب صفحات بعض اعداد ١٩٣٣ ، بعد كتابة الحلقة السابقة ، وقع نظري على رأي للدكتور

محمد حسين هيكل بك ، أحد كبار ادياء مصر ، في عدد يونيو من السنة المذكورة . فاقبلت على المقال ووجدت انه حلقة اخرى من حلقات النخب في دائرة مغلقة على الادب ، اذ فيه من التعميمات والمطلقات ما لا يحصل ايجابي وراءه . اليك بعض عباراته : « اني افهم ان يكون التجديد هو ان يشعر الشاعر او الكاتب بشعور العصر الذي هو فيه ويعبر عن ذلك تعبيراً صادقاً ممثلاً لصفات ذلك العصر الذي وضع فيه هذا التعبير بحيث يكون شاعر القرن الرابع عشر الهجري او كاتب القرن الرابع عشر (القرن العشرين) له شخصية خاصة تخالف شخصية الشاعر او الكاتب الذي ظهر في القرون السابقة مع المحافظة على قواعد اللغة وحدودها » « ولست اقصد بالصفات الخاصة ان يعمد شعراء العصر الحاضر الى استخدام الفاظ المخترعات الحديثة في شعرهم او يتناولوا هذه المخترعات فيصفوها ، ويسموا ذلك تجديداً ، فاذا كان القدماء وصفوا الناقة او السيف وصفواهم القطار او الطائرة او المدفع . واذا كان القدماء استعمالوا في اشعارهم هند ولبلى ودعد ، استعمالوا هم سوسو وسوسن ومرغربت وماري الى آخره . بل اقصد بالصفات الخاصة ابراز كل ما يقع تحت الشعور بحكم البيئة ، والتعبير تعبيراً صادقاً عن الحياة التي تحيط بهذه البيئة والظروف التي تلابسها وتجعل لها صبغة خاصة بحيث يعد الخروج عن هذه الصبغة خروجاً عن تلك البيئة . فانت تستطيع في الوقت الحاضر وفي البيئة التي تعيش فيها ان تصف الناقة او السيف وغيرهما بما تناوله القدماء بأسلوب يتفق وشعور العصر الذي تعيش فيه والحياة العقلية السائدة في هذا العصر وحينئذ يقال انك وصفت هذه الاشياء بأسلوب جديد »

وحسين هيكل يرى انه لا يوجد « شعر معبر عن العصر الذي نحن فيه وليس لنا شعراء يتنازون بصفات تخالف الصفات التي كان عليها بعض الشعراء

في العصور الماضية « ويزيد قائلاً : « وانا على يقين من ان مؤرخ الادب العربي في الاجيال القادمة ، لو قدمت اليه قصيدة من قصائد العصر الحاضر قد حذف ما فيها من اعلام ، لا يستطيع ان يعين العصر او الجليل الذي قبلت فيه ولكنه يعترف بان النشر « قد امتاز بقوته واتجاهه نحو النهوض ورفي الحياة » العقلية فيه وخصبها وتشمعها وانتاجها »

هذا الرأي شديد الابهام وكثير التخبط . انظر في غموض التعابير الآتية : « بل اقص بالصفات الخاصة ابراز كل ما يقع تحت الشعور بحكم البيئة ، والتعبير تعبيراً صادقاً عن الحياة التي تحيط بهذه البيئة والظروف التي تلابسها الخ . فماذا يفهم القارئ الجيد الادراك من هذه الاوصاف التي لا تزيد الموصوف الا غموضاً ؟ ما هو الشعور بحكم البيئة وكيف يكون ؟ وما هي « الحياة التي تحيط بهذه البيئة والظروف التي تلابسها » ؟

في عدد نوفمبر من السنة المذكورة رأي في التجديد في الشعر للشاعر السوري المتصر خليل مطران . انه ادق من رأي حسين هيكل . وهو يخالفه في رأيه القائل انه لم يحدث تجديد في الشعر . فقد حدث مطران عن نفسه : « اردت التجديد في الشعر منذ نعومة اظفاري ولقيت دونه ما لقيت من عنت ومناوأة ... اردت التجديد في الشعر وبذلت فيه ما بذلت من جهد عن عقيدة راسخة في نفسي وهي انه في الشعر ، كما في النثر ، شرط لبقاء اللغة حياة نامية . على انني اضطرت ، مراعاة للاحوال التي حفت بها نشأتي ، الا افاجيء الناس بكل ما كان يبش بخاطري ، وخصوصاً الا افاجئهم بالصورة التي كنت أوثقاً للتعبير لو كنت طليقاً ، فجاريت العتيق في الصورة بقدر ما وسعه جهدي وتضلعي من الاصول واطلاعي على مخلفات الفصحاء ، وتحورت منه ، وانا في الظاهر اتابعه ، بنوع خاص من

الوضف والتصوير ومتابعة العرض الخ . » وبعد ان يعطي وضفاً مجتزأً لحاجة اللغة الى ضروب التعبير السليم ، الواضح ، الدقيق قاطبة ، يصل الى نتيجة لا تبعد كثيراً عن النتيجة الهائلة التي وصل اليها الريحاني ويوسف معلوف وحسين هيكل والبيك قوله : « اريد ان يكون شعرنا مرآة صادقة لعصرنا في مختلف انواع رقيه . اريد كما تغير كل شيء في الدنيا، ان يتغير شعرنا، مع بقائه شرقياً، مع بقائه عربياً ، مع بقائه مصرياً . وهذا ليس باعجاز »

في عدد « الهلال » عنه ، الذي ورد فيه رأي خليل مطران في التجديد في الشعر ، مقال لحسين هيكل في « الفنون الرفيعة واثرها في حياة شرقنا الغربي » . في هذا المقال يلخص هيكل وجهة نظر الريحاني في حملته على الادب الباكلي عن طريق نقده لقصيدة بشاره الحوري التي مطلعها « الهوى والشباب والامل المنشود توحى فنبعث الشعر حياً » ووجهة نظر بشاره الحوري في رده على الريحاني التي لا تختلف كثيراً عن وجهة نظر شفيق معلوف في رده على عمه في كتابه اليه المئبث آنفاً . وقد حاول هيكل ان يكون في هذا المقال ادق منه في رأيه السابق المذكور فوق . فقال ان الرأيين (رأي الريحاني ورأي الحوري) هما في طبيعة الوجود . وعلل منشأ الجدل بانه من نتائج « ما بضيب الشرق العربي من هوان سياسي والخلال اجتماعي » ثم انتقل الى محاولة ايضاح اشد رسوخاً وذو صفة ايجابية فقال : « وقد اصيبت الفنون بما اصيبت به تبعا لظروف الحياة التي يخضع لها الشرق العربي والتي تخضع الانسانية من بعد الحرب لها . ولا يكون علاجها بانكاز ما للدموع وما للشجن من اثر في الحياة . وانما يكون علاجها بان تبعث الدموع وان يبعث الشجن النفسي الى التماس المثل الاعلى ، كما تدفعها الحماسة وتدفعها النجدة والمروءة الى التماسه . ولو ان ارباب الفن في الادب والغناء والنقش وسائر الفنون الرفيعة وضعوا هذا المثل امام

انظروهم لارجعوا الى الفن حياة اقوى بكثير من حياته اليوم ولما كان الجدل الذي ثار في هذا الصيف الاخير بين امين الريحاني وبشاره الحوريني .

بعد الكلام المتقدم يحاول هيكل ان يخطو خطوة فاصلة فيقول :
« ماذا عسى ان يكون المثل الاعلى ؟ اعتقد ان الشرق قد ضل طريقه في هذه العصور الاخيرة متأثراً بتعاليم الغرب فاصبح مثله الاعلى مادياً ، بحسب الحربة التي تسوقها النفس الى المكان الارفع ان يقال الجسم وان تتال الشهوات التي مبتغاهها . وقد يكون للبيئة الطبيعية في الغرب ما يدفع الى التطاع الى مثل هذا المثل الاعلى . لكن بيئة الشرق الطبيعية وتاريخه منذ العصور الاولى ، وتاريخه بنوع خاص منذ انتشرت الحضارة الاسلامية (المحمدية) في ربوعه ، يجعل هذا المثل الاعلى الذي يتخذه الغرب امامه دون ما تتطلع اليه النفس الشرقية . فهذه النفس تؤمن بوحدة الوجود وترى في هذه الوحدة والاتصال بها والفناء الروحي فيها غاية ما ترجوه ولذلك كانت امثال هذا الشرق تجري بأن من اغتر بغير الله ذل . ومن افتقر لغير الله هان . ولا تعرف شيئاً في الحياة يعادل تقوى الله . افيستمكن ان تصور الفن هذه المعاني وان يضل بها من درجات السمو الى ما يجب ان يضل اليه الفن ؟ »

هي اول محاولة للانتقال من الغموض الى الوضوح ومن التعميم الى التخصص ومن السلبية الى الايجابية ولكنها محاولة غامضة ، متخبطة ، مطلقة ، مستندة . فقبحا ينظر هيكل الى الفن من زاوية « الشرق والغرب » ويحدد الشرق بكلام لا تحقيق فيه لتاريخ « الشرق » الذي يذكروه ولا لفلسفة ذلك التاريخ ولا للمحمدية نفسها التي يطبعها ، استبداداً ، بهذا الطابع الجزئي ، وكان الافضل ان لا يحاول تجزيدها من خصائصها العملية في مسأدية

حياة البيئة التي نشأت فيها . اما تحديده المثل الاعلى للشرق كله ، مدخلا فيه العالم العربي كله ، فهو من التحديدات الاستبدادية الضيقة ، التي تكون اكثر قبولاً عند عامة المتعلمين وعند قبلي التعمق من خاصتهم ، نظراً لبساطتها وقلة ما تتطلبه من انعام نظر وجهد في التفكير ، ولكنها ليست بما يمكن العقل الفلسفي الاساسي الاطمئنان اليه وقبوله مستقراً لتفكيره وشعوره . ولم يخالف هذا التفكير السطحي المتمركز في تحديد التصور بالامر الواقع رأي الدكتور خليل سعاده في روحية الشرق الدينية اذ قال : « الدين في الشرق قطعة من حياته . فهو بحسب الحياة وسيلة لتشريف الدين (تقوى الله والفناء الروحي في وحدة الوجود) لا الدين وسيلة لتشريف الحياة والسمو بها من مرتبتها الحيوانية الى مرتبة وروحانية تطهر الاخلاق وتهدم الفواصل الغير الطبيعية القائمة بينه وبين اخيه في الوطنية والبشرية » (المجلة ، السنة الاولى ، العدد ١٣ ، بوانس ايرس في ١٥ ديسمبر ١٩١٥)

اني موثق كل اليقين بفساد ذلك التقسيم السطحي الذي يعد الشرق كله روحياً والغرب كله مادياً وبحسب طلب مبتغيات الجسد وشهواته من « التأثر بتعاليم الغرب » . ولكنني اعتقد ان توقف سير الحضارة في الشرق عند حد هو ما جعل النفس الشرقية تعتمد الى الفناء في الشؤون الحفوية من المسائل النفسية فصارت مسائل اللاهولي او ما وراء المادة المسائل الوحيدة التي تنجها اليها النفس التي اضطرت لهذا النهج بسبب ترك النظر في المسائل الوجودية ، الهيولية ، الحسية . وحيثما انعدمت اسباب التقدم العمراني انعداماً يكاد يكون كلياً صارت مطالب ما وراء المادة نفسها مبادية في معظمها فصارت الجنة جنة حلي وملابس وعطور وما شاكل . واعتقد ان اطراد سير الحضارة في المتوسط والغرب ، ابتداء من سورية ، جعل

المسائل النفسية ، الوجودية ، الهولية ، الحسية النصيب الاوفر من انشغال النفس . اما المادية والروحية فيها من نصيب الشرق والغرب كليهما . ويصعب كثيرا ، من وجهة نظر الحياة ، حسابان قسم كبير من المسائل النفسية الخفية التي تعنى بها شعوب « النفسية الشرقية » مسائل روحية بالمعنى الحيوي . ويدخل في هذا القياس المسائل الخفية الشائعة في الغرب كالروحانية والصوفية وغيرهما وكما وجدت المادية في الغرب كذلك وجدت في الشرق فمسائل الحب المادي والشهوات الجسدية نشأت نشوءا مستقلا في الشرق كما في الغرب . وفي الفنون المعبرة عن النفسية الشرقية احسن تعبير نجد الموسيقى التي يسمونها « العربية » او الشرقية قد اتخذت وجهة مادية من الشهوات الحادة في حين ان الموسيقى الغربية انتصرت على المادية انتصاراً رائعاً وارتفعت فوق فضاء الشهوات الجسدية ارتفاعاً عظيماً . فلشرق مادية قوية وروحية منعكفة على المسائل الخفية التي لا تبرز الى الحياة او الوجود وللغرب مادية قوية وروحية تعنى بالوجود وبتسامي الحياة ضمن الوجود الانساني وهي على عكس روحية الشرق التي طلبت التسامي وراء الوجود (الوجود الانساني) . ولذلك ارى من اشد الحظاً حسابان التسامي وراء الوجود وحده « روحية » والتسامي ضمن الوجود « مادية » .

اذا كان الشرق المتسكع في قيود المادة قد رأى ، في ارقى فلسفاته الهندية والصينية ، ان الطريقة الوحيدة لانتصاره على المادة هي اهمال قضايا المادة وثقافتها ، فان العقل السوري الذي خطط للمتوسط والغرب قواعد ثقافته المادية والروحية رأى ان الانتصار على المادة يكون بمعالجتها والقبض عليها وتسخيرها للغايات النفسية الجميلة التي تجعل الوجود الانساني جميلاً ، صريحاً ، نيراً . ان تحديده المثال الاعلى في عبارة حسين هيكل : « من اعتر بغير الله ذل

ومن افتقر لغير الله هان ، هو تجميد لا قوة له لغلب المادة في الحياة الروحية
وشؤونها في الوجود . وهو ليس مبدأ روحيا الا اذا حسبنا الروحيات
قاصرة على الغيب .

انها نظرة مصرية شرقية هذه النظرة التي تضع المثال الاعلى في هذه العلية
المطرزة الحثيفة المحل يحملها المرء في جيبه وينقل بها من مكان الى مكان وكلما عن له
النظر في المثال الاعلى فتح العلية واخرجه منها ونظر اليه باعجاب وشبهق شبهة
الفرح ثم اعاده الى موضعه واستمر في حاله من حله وتحواله . «الفناء الروحي في وحدة
الوجود» اذا كان مثالا اعلى فهو مثال عدمي او فئائي لا وجودي والروحية الموافقة
له هي روحية كسيحة ، مريضة تتجه نحو الغيب الذي يجعله مستقرا للوجود وتشيع
بوجهها عن الوجود الانساني الذي لا تحسه الا عبارة الى الغيب وواسطة
للفناء فيه .

هذه النظرة التي يثبت بها الادب المصري نفسه الشرقية هي نظرة
منافية لحطط النفس السورية في سياق التاريخ . وعدم اخذ السوريين بهذه
النظرة هو من الادلة على ما ذهبت اليه حين اعلنت ان سورية ليست امة
شرقية وانما ليست ذات نفسية شرقية . واذا كان السوريون اولعوا بالتغني
« بالمزايا الشرقية » التي وصلت اليهم في مزيج من ادب الهند والفرس
والعرب في ذلك الا لتلاشي نظرتهم الى الحياة وضياح مثلهم العليا في تعاقب
الفتوحات واضطراب مجرى الحياة السورية الاجتماعية والروحية وهذه
الحقيقة هي التي جعلت مبخائيل نعيمة يسبق حسين هيكل الى حساب
نفسه شرقيا وتفضيله النظرة « الشرقية » التي يزعم انها تقول مع محمد :
« ولا غالب الا الله » على النظرة التي يزعم ان الغرب يعبر عنها بقوله :
« ولا غالب الا انا » (انظر فتاوى كبار الكتاب والادباء في مستقبل

اللغة العربية ونهضة الشرق العربي . طبع « الهلال » مصر سنة ١٩٢٣)
فهو قد جعل الغرب كأنه يقول « ولا غالب الا انا » وهو يقصد بقوله المقابلة
بين موقف الشرق وموقف الغرب من الوجهة السياسية والعمرائية قبل كل
شيء . وقد أخذ حسين هيكمل فكرة نعيمة في التعبير عن موقف الشرق
وجعلها مثالا اعلى للنفسية الشرقية .

لنتابع تفكير نعيمة قليلا . انه يقول في مقاله التي اجاب بها على
استفتاء مجلة « الهلال » ان الفرق بين الشرق والغرب منحصر في نقطة واحدة
جوهرية هي : « ان الشرق يستسلم لقوة اكبر منه فلا يجارها والغرب يعتقد
بقوته ويجاربها بكل قوة . الشرق يرى الخليفة كاملة لانها صنع الاله الكامل .
والغرب يرى فيها كثيراً من النقص ويسعى لتحسينها . الشرق يقول مع محمد :
« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » . ويصلي مع عيسى : « لتكن مشيتك » .
ومع بوذه يجرد نفسه من كل شوائها . ومع لاوتسو يترفع عن كل الارضيات
ليتحد بروحه مع « الطاو » او الروح الكبرى . اما الغرب فيقول : « لتكن
مشيتي » . واذ يخفق في مساعاه يعود اليه ثانية وثالثة ويبقى يعلى نفسه بالفوز .
وعندما يدركه الموت يوصي بطاحه لذريته « وفي اعتقاد نعيمة : « ان فرسخا
مربعا من بلاد الصين « الحامة » يحوي من الجوهر اكثر من كل جزائر اليابان
« الناهضة » .

هذا كلام اذا ازلت منه زخرف التعبير الادبي ، الشعري لم تجد فيه
حقيقة واحدة غير جبل شؤون الحياة وتطورها منذ ظهر الانسان على مسرح
الطبيعة وجبل التاريخ وفلسفته . فالشرق ، لعله طبيعية ، على الارجح ، حاول
من قبل « تحسين الخليفة » كما حاول الغرب « تحسينها » من بعد . ولذلك
نشأت الاديان في الشرق ، اى لتحسين الخليفة . وقد « حسنت » الاديان الخليفة

تحسيناً كبيراً ، ولا شك . ولكنها عصت كل تحسين جديد نشأ بعد احكامها فاصحابها لا يقرون بمعرفة جديدة الا مكرهين . واذا كان عيسى ، السوري البيته ، رمى الى تأديب النفوس بقوله : « لتكن مشيتك » فهو اعلن الانتقاص على « المنزل » بالذهاب الى « تكميل الناموس » ومحمد نفسه الذي نشأ في بيته بعيدة عن التفكير بالقضايا الفلسفية الكبرى نطق بالوحي « ولكل اجل كتاب » . فليس في سنة المسيح ولا في سنة الرسول ، اذا اخذت كلها ، ما يمنع « تحسين الخليقة » او ما يرفضه . ولست اعتقد ان تعاليم بوذه ولا وتسو انشئت بقصد منع التفكير في « تحسين الخليقة » ولكن العقلية الشرقية ، التي عجزت عن حل قيود الروح المادية بنظرة الى الحياة والكون فاهمة ، هي التي وقفت عند « احكام » الفلسفات الدينية وتعليقاتها الافتراضية المستندة الى « قوة اكبر منها » حددتها تلك الفلسفات تحديداً متباينة جعلت الخالق الواحد « ينزل » تعاليم غير واحدة فيما يختص بالحياة الانسانية ضمن الوجود وقبل « الفناء » في وحدة الوجود .

اختار ميخائيل نعيمة التكلم على « الخليقة » و « تحسينها » ليضع القارىء امام الاصطلاح . وكلامه كلام اديب ، لا كلام فيلسوف او عالم او فنان . وها الصين تترك اليوم « جوهر » الخمول لتأخذ « بعرض » النهوض . وليس يعني ذلك زوال القواعد الصالحة من تعاليم لا وتسو .

بما لا شك فيه ان نفسية الذين يدعون لكل « ما كتب الله ان يصيهم » ترى في هذا الازعان اجل المثل العليا واحبها وافضلها . وسواء اكانت هذه النفسية شرقية ام غربية ، فهي نفسية لها مصيرها وهو غير مصير النفسية التي لا تقبل بما هو دون « ما يكتبه الله » للذين يعملون بالمواهب التي اعطاهم .

ان صوفية نعيمة الهدامة التي ابرزها في احد خطبه في بيروت سنة ١٩٣٢

او ١٩٣٣ بقوله ان القوة هي في الامم العاجزة « المستغنية » عن التسليح (وان يكن استغناؤها قهراً او كرهاً) وان الضعف هو في الامم المستكثرة من الال الحرب ، قد نبذتها سوريه ولا تفكر في جعلها مثالا اعلى لها . اما في مصر فقد تجد تربة جيدة لنموها وازدهارها كما يظهر من اقتباس حسين هيكلم مثاله الاعلى من عبارة ميخائيل نعيمة الواردة في مقابله بين الشرق والغرب ومن اقوال غيره كمصطفى صادق الرافعي .

ولم يخرج من دائرة التخبط في موضوع النهضة الادبية غير من ذكرت من كبار الادباء . طه حسين نفسه الذي يعد في مقدمة مفكري مصر وفي طليعة كبار ادبائها كتب مقالة في عدد « الهلال » الصادر في نوفمبر ١٩٣٣ بعنوان « نهضتنا الادبية وما ينقصها » قال فيها ان الادب في اللغة العربية قد سار مرحلة كبيرة وانه لا تزال تنقصه اشياء وخلاصة المقالة ان مواضع الضعف « في نهضتنا » هي : 1 - اتصاننا بادبنا القديم ضعيف لم يبلغ ما ينبغي له من القوة . 2 - ثقافة ادبائنا من الادب الاجنبي ثقافة محدودة . 3 - ادبائنا لا يحسنون الآداب الاجنبية القديمة التي انشأت الادب الاجنبي الحديث . 4 - لا يحفل ادبائنا بالعلم ولا يأخذون انفسهم بدرسه والامام بطائفة منه . وفي رأي طه حسين انه اذا ازبل هذا الضعف من « ادبائنا » فهضتنا الادبية تستكمل شروط ارتقاها الى ذروتها . والحقيقة ان هذا الكلام يدخل في ما عبر عنه طه حسين نفسه في مقاله المشار اليها « بالطول والعرض » اي بالخلو من العمق . انه كلام شكلي لا اساسي ، كما سيتضح فيما يلي

وعباس محمود العقاد كتب مصري آخر كبير ذو شهرة اجاب في عند « الهلال » المذكور فوق على سؤال : هل يصح لنا ادب عالمي ؟ وفي جوابه يقول : « فالادب العالمي ليس مرتبة من مراتب السمو يرتفع اليها الكتاب

والكاتب ، ولكنها حالة من الحالات تيسر اسبابها فتظهر وتختفي هذه
الاسباب فيخطئها الظهور ، والظاهر انه يعني بالادب العالمي انتشار الكتب
بواسطة الترجمة والطبع في مختلف اللغات لقيمة الادب العالمية . فيأخذ يبحث
عن الظروف والاسباب العملية التي تذيب الكتاب ، كالغرابية عند المترجم
اليهم ووجود المترجم وحسن الطباعة ووجود شركات النشر ونسبة عدد القراء
وغير ذلك من الامور السطحية والعملية التي لا يمكن ان يقوم عليها ادب عالمي
لامنة من الامم على نسبة ارتقاء المثال الاعلى والفكر والفن .
والخلاصة انك لو جمعت جميع الاقوال والآراء المتقدمة وامثالها لما حصل
لك منها غير اضطراب في الفكر ونشتت في الشعور يجرمانك ادراك حقيقة
الادب عموماً والشعر خصوصاً ، ورسالة الفن .



تجديد الأدب وتجديد الحياة

تجديد الأدب وتجديد الحياة

في ذلك من انما يولد من الحركات غير المتساوية وحسبها
 لا يوجبها الطور، والحاضر انه من الاربعة اسلوبي انوار الكون
 والشمس والقمر في عطف الحركات اربعة الاربعة العالمة بالشمس
 من المرفوع والانسحاب المبط الى جميع الكائنات والشمس والارض
 في المرفوع والانسحاب ومن الشمس والارض في المرفوع والانسحاب
 ومن ذلك من الامور الطبيعية والاصطناعية لا يمكن ان يكون غير
 انما حتى الامور على نسبة اربعة الى واحد والاشياء والاشياء
 والاشياء التي في حوت جميع الكائنات والاشياء والاشياء
 والاشياء من الحركات والاشياء والاشياء والاشياء والاشياء

الاشياء التي في حوت جميع الكائنات والاشياء والاشياء

تَجْدِيدُ الْأَدَبِ وَتَجْدِيدُ الْحَيَاةِ

الفكرة البارزة في جميع الأمثلة المتقدمة من تفكير نفر من أشهر أدباء اللغة العربية في العصر الحاضر هي : ترك البكاء التقليدي والتجسر والتلف والنواح والندب التي أغرقت الشعر العربي القديم في عباها وتفرقت الشعر السوري والمصري الحديث في ذاك العباب عينه ، اللهم إلا بعض استثناءات نادرة تطمو عليها الصفات المذكورة ويحتاج بحب الاطلاع لمجهود كبير في الغوص عليها . هذه الفكرة هي فكرة سلبية يدفع إليها الملل من الجمود والضرب على وتيرة واحدة . ولكنها ليست بالفكرة الجديدة في ادب اللغة العربية . فقديمًا أظهرها الشاعر الفارسي المزيح ، السوري البيئته والحضارة ابو نواس بأسلوبه المجوفي البديع :

قل لمن يبكي على رسم درس واقفًا ما ضر لو كان جلس ..
وقال ايضاً :

عاج الشقي على رسم يسائه وعجت اسأل عن خمارة البلد
فابو نواس تهكم على الوقوف على الطلول والبكاء والعيول ، لانه ابن بيئته
تختلف عن بيئته شاعر الصحراء ولانه متحدر من شعب خبير من الحياة الواناً غير الوان
حياة الصحراء . وقد استيقظ ابو نواس هذه الحقيقة ووجد في البكاء والندب
وسؤال الطلول عجزاً مضحكاً . فقال قوله الذي سبق به جميع دعاة «التجديد»
من ادباء اليوم . وادباء العصر الحاضر ، مع كل اجتهادهم ، لم يتجاوزوا موقف
ابي نواس من العويل والانتحاب على الطلول وعلى العهود الا قليلاً .

كل اجتهاد امين الريجاني بلغ الى القول ان الشاعر يجب ان يكون « مرآة
الجماعات » ومبلغ اجتهاد حسين هيكل هو ان التجديد في الشعر « هو ان
يشعر الشاعر او الكاتب بشعور العصر الذي هو فيه ويعبر عن ذلك تعبيراً
صادقاً مثلاً لصفات ذلك العصر الذي وضع فيه هذا التعبير » وكل اجتهاد
خليل مطران بلغ الى قوله « اريد ان يكون شعراً مرآة صادقة لعصرنا في
مختلف انواع وقبه » . وهذا الرأي هو ارقى ما وصل اليه تفكير ادياء سورية
ومصر حتى اليوم . فاذا كان هذا هو غاية الشعر والشاعر فلا حاجة لكل ذلك
الكلام الكثير على التجديد وترك التقليد ، الذي هو من قبيل تحصيل الحاصل .
ان ادياء العصر الذي نعيش فيه يمثلون بادهم عصرهم اصدق تمثيل . انهم لا
يحتاجون الى تغيير اسلوبهم ليمثلوا عصرهم ، كما يتوهم هيكل في تخطب
فكري للخروج بالادب والفنون الجميلة من الحالة التي هي فيها او كما يظن خليل
مطران . اليس العصر في سورية ، الى ان بزغت انوار النهضة القومية الاجتماعية ،
عصر جمود وذهول وتقليد واستكانة ؟ اليس العصر في مصر عصر تقليد شرقي ومسوخ
غربي ؟ بلى ان العصر في سورية وكذلك وان العصر في مصر كذلك اذن
فالادباء في سورية وفي مصر هم « مرآة جماعاتهم » تماماً ويمثلوا عصرهم تمثيلاً صادقاً
والمطلوب من كل الكلام الذي ملاء به طالبو التجديد صفحات ومجلدات هو
حاصل . ومع ذلك فالحاجة الى التجديد او التغيير باقية وهي على ازدياد والتوق
الى حالة جديدة يقوى يوماً بعد يوم . فاین السر في هذا التناقض وهذا التباين ؟
هو في بعد الادياء الذين عالجوا الموضوع عن صلبه وعن قضايا الكبرى التي
ليست هي قضايا ادبية بحت .
خذ مثلاً كلام حسين هيكل على « العصر » الذي يعيش فيه الشاعر .
فكأنني بحسين هيكل يفهم العصر من خلال مطالعته في الادب الفرنسي

وليس من درسه وضعية مصر . وكأني بأمين الريحاني يرى ان عكس نفسية الجماعة هو شيء اصطناعي اساسه الغش او الرياء كأن يمثل الشاعر السوري نفسية شعبه وحالته الروحية بالافتباس او الاكتساب من ادب شكسبير وادب غوته اللذين يمثلان ادب شعبين آخرين فيظهر شعبه بغير مظهره الحقيقي . وهذا ما يفعله كثير من الادباء في مصر وبعض الادباء في سورية فيمسخون نفسية شعبيها مسخاً . وكأني بخليل مطران الذي اطلع كثيراً في الادب الفرنسي يجهل ان العصر الحاضر في اوروبه شيء وفي سورية ومصر شيء اخر . انه يعنى عن الحالة التي عليها الشعب السوري والحالة التي عليها الشعب المصري فيحسب انها في حالة الشعوب الاوروبية عينها ويبدو لقارىء عبارته ان الادباء وحدهم في سورية ومصر بقوا متأخرين عن حالة العصر وهو غير الحقيقة .

— ماذا ينتظر من الشاعر الذي ولد في بيئة يغشاها الجهل ويغمرها الذل والخنوع ولم يفتح عينه الا ليرى ظلمة الفوضى والبلبله والتسكع في المادية وريبت نفسه على تاوهات العجز وحسرات القوات ومثل الشهوات وامثلة الجمال المادي وميول الفرائز البيولوجية ، خصوصاً الشاعر الذي يجب ان يكون ، في عرف كتاب « التجديد » مرآة الجماعات او مرآة عصره ؟
انتظر منه غير اتباع ما شب عليه ووعاه من امثلة الادب الذي وصل اليه ؟ كلا . كلا .

ان الادب ، كله ، من نثر ونظم ، من حيث هو صناعة يقصد منها ابراز الفكر والشعور باكثر ما يكون من الدقة واسمى ما يكون من الجمال ، لا يمكنه ان يحدث تجديداً من تلقاء نفسه . فالادب ليس الفكر عينه وليس الشعور بالذات . ولذلك اقول ان التجديد في الادب هو مسبب لا سبب — هو نتيجة حصول التجديد او التعبير في الفكر وفي الشعور — في الحياة وفي النظرة

الى الحياة . هو نتيجة حصول ثورة روحية ، مادية ، اجتماعية سياسية تغيير حياة شعب بأسره واوزاع حياته وتفتح آفاقا جديدة للفكر وطرقه وللشعور ومنابعه .

يلاحظ مؤرخو الادب ودارسو عناصره وعوامله ان التغييرات او الانقلابات السياسية يعقبها تغيير في الادب واساليبه . ويذهب جمهورهم الى ان النهضات او التغييرات السياسية هي سبب نهضة الادب والفنون الجميلة . والذي اراه ان التغييرات السياسية ليست هي في ذاتها المؤثر او الفاعل الاساسي في تغيير مجرى الادب لاني ارى الاحداث السياسية نتيجة لابتداء تغيير النظرة الى الحياة او حصول اعتقادات ومثل عليا روحية - مادية جديدة في شعب من الشعوب فتدفعه النظرة الجديدة او التعاليم الجديدة الى استنباط الوسائل التي تتحقق بها مطالبه . ومن هذه الوسائل اساليب السياسة واشكالها وخططها واهدافها . فالسياسة ، في حد ذاتها ، شبيهة بما حددت به الادب . فحيث لا فكر ولا شعور جديدين في السياسة لا توجد سياسة جديدة ولا نهضة سياسية ، وكذلك في الادب . فحيث لا فكر ولا شعور جديدين في الحياة لا يمكن ان تقوم نهضة ادبية او فنية .

يذكرني بحث وسائل انماض الادب السوري والادب المصري ببحث وسائل ترقية فن التمثيل في سورية . فقد سألني احد هواة هذا الفن ، منذ عدة سنين ، عن كيفية ترقية تمثيل الروايات في سورية . فقلت ان الامر مرتبط بترقية حياة الشعب السوري نفسه . فان تمثيل ادوار الحب والشهامة والبطولة بالوان راقية يحتاج الى شعور الممثل بهذه الصفات شعوراً راقياً . والذين لم يتعودوا من الحب غير انجاهاته الفيزيائية لا يمكنهم ان يمثلوا حالاته النفسية السامية . وقد شاهدت مرة احد هواة التمثيل في دمشق ، وهو

شاب متنور ، يحاول تمثيل دور التعارف مع فتاة ينتظر ان يقع حبه في قلبها ويقع حبا في قلبه فجاء الدور بعداً جداً عن اعطاء النتيجة المرغوبة على مستوى راق من الشعور والتصرف . وواحد آخر كان من نصيبه ان يمثل دور الوالد الذي نأت به الافذار عن ابنته وحسب في عداد الاموات ثم عاد سالماً موفقاً ليضم ابنته اليه . فلما جاء حين المقابلة مع ابنته وظهرت الفتاة التي تمثل دور الابنة حبطت جميع المحاولات لجعل ذراعي الوالد تمتدان بلهفة وتضامن الفتاة برفق وحنان . كانت الانوثة اقوى تأثيراً على الرجل من مشهد الابوة والبنوة الذي يشترك في تمثيله . ولو كان الرجل نشأ غير نشأته لكان اقرب الى اجادة تمثيل دوره .

الاديب والشاعر والممثل هم ابناء بيئاتهم ويتأثرون بها تأثراً كبيراً ويتأثرون كثيراً بالحالة الراهنة الاجتماعية - الاقتصادية - الروحية . والفنان المبدع والفيلسوف هما اللذان لهما القدرة على الانفلات من الزمان والمكان ومخطيط حياة جديدة ورسم مثل عليا بديعة لامة باسرها . ولا يقدر على ذلك الاديب الذي وقف عند حد الادب والصور الجزئية التي تشمل عليها صناعته . والشاعر الذي هو « مرآة الجماعات » او « مرآة عصره » لا يقدر ان ينهض بالشعر او بالادب ، لان هذا النهوض يعني ضمناً : النهوض بالحياة وبالنظر الى الحياة . والشاعر الذي شأنه عكس حالة جماعته او عصره كالمراة ليس المرء الذي ينتظر منه ايجاد حالة جديدة لشعبه او لعصره . فهذا شأن المعلم ، الفيلسوف ، الفنان ، القائد ، الذي يقدر ان يخطط تاريخاً جديداً لامة ويضع قواعد عصر جديد لشعبه . وله ان يكون اديباً شاعراً اذا شاء . وليس عليه ان يكون ذلك . وللشاعر ان يكون معلماً فيلسوفاً فناناً قائداً اذا قدر وليس عليه ان يكون ذلك .

٤ ان من الظلم للشاعر ان يطلب منه تمثيل عصره او جماعته
تمثيل المؤرخ والعالم الاجتماعي . فكلام الرجائي وخلييل مطران وحسين
هيكلم هو ظلم للشعراء وتكليف لهم ان يكونوا غير ما هم . قد يكون
في شعر الشعراء ما يستدل به على حالة عصورهم والافكار والاعتقادات
الشائعة فيه ولكنه ليس حتمياً ان يدرس الشاعر عصره حين يحاول نظم قصيدة
في فكرة او عاطفة او منقبة او حادثة . ان قصائد الشاعر التي ينظمها غير
مفكر بعصره او بغيره من العصور هي التي يغلب ان تجيء اكثر انطباعاً
على حالة عصره وادبه ، ولذلك قلت ان شعراءنا يمثلون عصرنا تمثيلاً صادقاً .
واعني بعصرنا العصر الذي تعيش فيه سورية وليس العصر الذي تعيش فيه
بريطانية او امانية او فرنسية او روسية . وفي رأبي ان عصر سورية الحاضر
هو غير عصر هذه الامم الحاضر وان كان الزمان واحداً . فحالة سورية
الاجتماعية - الاقتصادية - السياسية - النفسية تختلف عن حالة الامم
المذكورة . فكأنها تعيش في عصر غير عصر تلك الامم . ولذلك لم
يمكن ان يكون نتاج شعرائها مطابقاً لعصر ارقى الامم الاوروبية التي
خلفت وراءها ثورات عظيمة في الاجتماع والاقتصاد والسياسة وفي العلم
والفلسفة ، بينما سورية تتخبط في دياجير تاريخها الاخير الناجع ، وقد نسبت
فلسفات اساطيرها وثوراتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الغابرة التي
اضاء نورها ارجاء العالم المعروف آتئذ وكانت اصلاحاتها مثالا لاثنية
ورومة .

سبق لي القول ، في مكان آخر : ان الشاعر ، في عرفي ، هو الذي
يعني بابرار اسمي واجمل ما في كل حين من فكر او شعور او مادة . وازيد هنا
اني ارى ان من اهم خصائص الشعر : ابراز الشعور والعاطفة والاحساس في

كل فكر او في كل قضية تشمل عناصر النفس ، واعطاء الشعور والاحساس
والعواطف صوراً مجازية او خيالية عناصرها القوة والجمال والسمو مع عدم
مفارقة الحقيقة والغرض الانساني . واكرر القول ان الشعر ليس الفكر بعينه ،
من غير حرمان الشاعر حق ابداء الافكار الكلية او الجزئية كما شاء . وامكنه
ذلك .

ليس الشعر ، في عرفي ، مجرد شعور كما عبر عنه شفيق معلوف في كتابه
الى عمه ، وبشاره الخوري في رده على الريحاني . اني ارى الشعر ، او ، على
الاقل ، الشعر المثالي الاسمي شديد الاتصال بالفكر وان يكن الشعور عامله
الاساسي او غرضه ، لان الشعور الانساني ذاته متصل بالفكر اتصالاً وثيقاً في
المركب العجيب الذي نسميه النفس . واعتقد انه يصح في الشعر ، الى حد ما ،
ما قلته في الموسيقى واجربته على لسان بطل قصة القتها سنة ١٩٣١ بعنوان
« فاجعة حب » وطبعها في بيروت مع قصة « عيد سيدة صيدنايا » سنة ١٩٣٢ ،
وهو يختلف عن نوع المشابهة بين الشعر والموسيقى الذي اورده شفيق معلوف
في كتابه الى عمه . اليك القول المذكور وهو بشكل حوار ومداولة ووصف
روائي :

« كنا مرة مجتمعين في حلقة من الاحباب فاحذنا نتحدث في كل علم
وفن حتى تطرقنا اخيراً الى الموسيقى . وكأنت . بيننا من شب ولم يسمع سوى
الالحن الشرقية الشائعة عندنا التي يسمونها خطأ « الالحن العربية » ، واذا
كان قد سمع بعض الانغام الغربية فهو لم يعبا بها ولم يحاول فهمها . وكان آخرون
يمن سمعوا الالحن الشرقية والانغام الغربية ووقفوا على ما في هذين النوعين من الموسيقى
من فن واقتنان . فقدم هؤلاء الانغام الغربية على الالحن الشرقية لرتي تلك
وغناها في التعبير عن الحياة العاطفية ولقفر هذه من هذه الوجهة ووقوفها عند

حد التعبير عن الحالات الاولية . وتعصب اولئك ، ولعل تعصبهم من باب الشعور القومي غير الناضج والتمسك ببدأ المحافظة ، للالحان الشرقية . وهذا شيء طبيعي ، فالذين يقيمون لحنا موسيقيا واحدا فقط يفضلونه على كل لحن ونغم غيره .

« وكان من وراء ذلك ان الجدل في هذا الموضوع احتدم بين الفريقين وطال امره حتى خشيت ان يؤول الى تباغض وشحناء ، كما جرت العادة عندنا نحن السوريين الى هذا اليوم ، فاننا قليلا ما نتناقش في امر بقصد التوسع في المعرفة والفهم ، وتبين وجه الصواب ووجه الخطأ . الا اننا لم نبلغ هذا الحد في هذه المرة لان الفريقين المتجادلين قررا ان يستفتيا سليما في الامر بصفة كونه خيرا في نوعي الموسيقى الشرقي والغربي ، ومحبا للانصاف والحقيقة . فسأل سليم احد المتشبهين بافضلية الموسيقى الشرقية المحافظة ، واسمه بهيج ، قائلا :

« أتدري ، يا صاحبي ، لماذا وجدت الموسيقى ؟ »

« فاجاب بهيج بلهجة الموقن : اجل وجدت الموسيقى لتكون لغة

العواطف . »

« قال سليم - « لو كنت خيرا بالموسيقى لما جازمت بهذا التحديد الذي

يجرد الموسيقى من ثلثي مزايها على الاقل »

« فهتف الاربعة دفعة واحدة : « ثلثي مزايها ؟ ! »

« سليم : « نعم ، ثلثي مزايها »

« بهيج : « اذن ، كيف تحددها انت ؟ »

« سليم : « اني احدها باطلاقها من كل تحديد ، فانك تستطيع ان

تعرف الكثير من مزاي الموسيقى ولكنك لا تتمكن من حصرها . ليست

الموسيقى لغة العواطف فحسب ، بل هي لغة الفكر والفهم ايضاً . انها لغة النفس الانسانية بكل ظواهرها وبواطنها . وان شئت فقل ان الموسيقى تتناول الميول الاولية والعواطف والحالات النفسية على انواعها والاصوات على اختلافها والشعر والادب والفلسفة . ومن هذه الوجهة لا يمكنك ان تقسم الموسيقى الى قسمين ، شرقي وغربي ، وانما يمكنك ان تميز بين الاساليب الشرقية والاساليب الغربية في التعبير عن المعاني النفسية المقصودة من الموسيقى ، وبين اصناف هذه المعاني ، عنها . فمتى كانت الموسيقى الغربية تعبر عن العواطف والحالات النفسية التي تعبر عنها الموسيقى الشرقية عنها امكنتك فهمها بكل سهولة وان اختلف اسلوبها . فيتضح لك مما تقدم ان وجه الفرق في ما تسمونه الموسيقى الشرقية او الغربية والموسيقى الغربية ليس في اساس الموسيقى ، فلا يوجد نزاع قط من هذا القبيل ، بل في المعاني التي يقصد التعبير عنها عند الشرقيين وعند الغربيين وفي الاساليب المتخذة لبلوغ هذا الغرض ، وان الفرق الذي تجده بين اساليب الموسيقى الشرقية ونظائرها الغربية ليس الا مجرد تنوع يتبع حالات نفسية خاصة . ويمكنك ان تجد البرهان القاطع على صحة هذه النظرية في العلوم الطبيعية والنفسية وفروعها فان هذه العلوم تثبت بما لا يقبل الرد ان الطبيعة البشرية واحدة في جميع العناصر والشعوب وان تعددت الامزجة . ان عواطف الحب والبغض والرقه والقسوة والسرور والحزن وبواعث الطرب والتأمل والهوى والتفكير والطموح والقناعة وما ينتج عنها جميعها من ثورات وانفعالات وتصورات نفسية تقصر الكلمات عن وصفها كل هذه واحدة في جميع الامم في الشرق والغرب ولا فرق بينها الا بمقدار تنبئه النفوس وارتقاها وسدة شعورها او حموها وانحطاطها

وعدم شعورها . فالقوم الذين لا تزال نفسيتهم في دورها الابتدائي او كانت محجوزا عليها بحكم العادات والتقاليد العتيقة ، الناتجة عن تلك النفسية ، كانت موسيقاهم ابتدائية ايضاً . وهي في هذه الحال لا تعبر عن العواطف التي هي شيء مشترك بين الانسان والحيوان ، كالشهوات الجنسية التي تمثل معظم عواطف هؤلاء القوم . وبمعكس ذلك القوم الذين تحررت نفسيتهم وارتقت فان موسيقاهم تعبر عن عواطف تسمو على الشهوات الجنسية وتخيلات تعلو عن الاغراض الحيوانية الدانية ، اذ لم يعد مطلبهم في الدنيا مقتصرأ على « وصال الجيب » بل اصبح مطلبأ اعلى يرفع الحب نفوسهم اليه ويشجذ عزائمهم لتحقيقه مولدا في نفوسهم من العواطف السامية والافكار والتخيلات الكبيرة . ما لا يستطيع فهمه من هم وصال الجيب وعلى الدنيا السلام . هذه هي العواطف والتصورات والافكار التي تعبر عنها موسيقى امثال بيتهوفن الذي بلغ في الفن الموسيقي حداً اللوحيه لان معزوفاته استغرقت اسمى ما تصبو اليه النفس البشرية في الحياة . انه كان يشعر بعواطف وآمال وامبال جميع اخوانه البشر حتى كان نفسه كانت مؤلفة من كل النفوس . وهذه هي صفة الموسيقي النابغة كما هي صفة الشاعر والاديب النابغة . انظر الى ما تعبر عنه معزوفات هذا الموسيقي الخالد . خذ مثلاً ، سنفونيته السابعة التي اجاب بها على مدافع السفاح نابوليون بتيار من الانغام تحول الى تيار من العواطف البشرية الطالبة الحربية النائرة على الظلم والاستبداد لا يزال جارياً وسيظل جارياً ابد الدهر ! انظر الى معزوفاته الاخرى (كسنفونيته الخامسة المعبرة عن الصراع بين عوام سبل الفناء وعوامل البقاء - بين الموت والحياة ، وانتصار هذه بفتوتها على ذاك بهرمة) ومعزوفات غيره من الموسيقيين الخالدين فهي لا تقف عند رفع العواطف الروحية فحسب الى مراتب السمو ، بل تتعداه الى رفع الافكار والتصورات العقلية ايضاً . لا ،

يا صاحبي ، لم توجد الموسيقى لتكون لغة العواطف الاولية التي وقفت عندها
الموسيقى التقليدية الشائعة بيننا ، بل لغة النفس بجمع ما فيها من عواطف
وافكار »

« بينا كان سليم يتكلم كان الاصحاب جميعهم مصغين كل الاصغاء .
فقد كانت هذه المرة الاولى التي يسمعون فيها حديثا من هذا النوع . وبعد
صمت ظهر في اثنائه ان الرفقاء كانوا يبتهدون في فهم خطاب سليم
ويحاولون ادراك المدى البعيد الذي بلغه قال بهيج : « مارأيك اذن في
موسيقانا ؟ »

« سليم : « الحقيقة يا صديقي ، انه ليس لنا موسيقى تعد نتاج نفسيتنا
نحن السوريين من حيث اننا قوم لنا مزايا خاصة بنا . اما الالحان الشائعة بيننا
فليست مما نشأ من نفسيتنا بل هي مزيج من نفسيات اقوام مختلفة . واذا كان
فيها ما يعبر عن جزء يسير من عواطفنا ومزاجنا فهي تقصر تقصيرا كبيرا عن
استيعاب ما في اعماق نفوسنا من شعور يستغرق ما في الكون من عوامل
ومؤثرات نفسية وما في صميم عقولنا من تصورات وتأملات تظهر فيها حقيقة
طبايعنا ومواهبنا . ان الالحان التي تسمعها كل يوم ليست خارجة من نفسيتنا
بل هي مما دخل على تقاليدنا وعاداتنا . انها الحان تقليدية فحسب »

« بهيج : « اذن انت تفضل الموسيقى الغربية »
« سليم : « قلت انه لا تفضل في الموسيقى . انما اذا كنت تريد معرفة
رأيي في الفرق بين موقفنا من الموسيقى وموقف اهل الغرب منها فاني
اصارحك ان شعوب الشرق ، خلا الروسين ، اذا كانوا يحسبون شرفين ،
قد عدلوا عن الاسس الموسيقية الى الالحان الموضوعية ، او هم قد اقتصروا في
الموسيقى على طائفة من الالحان لا يجدون عنها مجيذاً . وهذا كان شأن

الغرب ايضاً ، الا انه لما ارتقت نفسيات البشر وعقلياتهم اضطرت الموسيقى الى مجازاة هذا الارتقاء لكي تعطي المثل الصحيح للعواطف والافكار الجديدة التي لم تعد الالحان الموضوعية تكفي للتعبير عنها . وقد سبق الغربيون اهل الشرق الى ادراك ذلك فأحدثوا في الموسيقى تطوراً خطيراً ، اذ انهم عدلوا عن الالحان الى الاصوات المفردة التي هي اساس الموسيقى فرتبوها وادخلوا على الموسيقى الادب والفلسفة ، فضلا عن الشعر ، وهكذا استتب لهم اظهار مكونات النفس الراقية بواسطتها . وهذا ما يجب ان يحدث في سورية وفي كل قطر فيه شعب حي في نفسيته وعقليته . ان التقاليد القديمة المستعارة قيدت نفوسنا بالحن محدودة ابتدائية قد اصبحت حائلا بيننا وبين الارتقاء النفسي . ان في فطرتنا ونفوسنا شيئاً اسمى مما تعبر عنه هذه الالحان الجامدة ، شيئاً اسمى من الشهوات او العواطف الالوية . ان في انفسنا فكراً عالياً طيفياً وفيها عاطفياً يتناولان التأملات العميقة في الحياة والرغبة الشديدة في تحسينها من وجوه متعددة : اجتماعي ، قومي ، روحي ، انساني وبدفعاننا نحو مطلب اعلى أليق بوجودنا يحتاج تحقيقه الى انواع من الموسيقى غير الالحان المستعارة الموضوعية حاللة او حالات نفسية محدودة معينة كحالة الحزن او حالة التدهل في الغرام ، فان نغماً وضع لحالة من هذا النوع لا يصح ان يستعمل في حالة اخرى تختلف عنها كل الاختلاف كحالة غضب النفس وثورتها على الاستبداد والظلم او حالة الجذل والابتهاج او حالة التأمل . بل ان لحناً وضع لحالة نفسية منذ نحو الفي سنة لا يمكنه ان يعبر عن هذه الحالة بعد مرور زمن طويل اكنسبت فيه النفس من الاختبارات ما رقى شعورها واكسب الحالة النفسية المقصودة معاني جديدة تحتاج الى انغام جديدة لوصفها .

فاذا كنا نريد ان نحيا نفسياتنا حياة راقية نقتربنا من اكناف السعادة وحب علينا ان نحررها من ريقه الاثام التقليدية التي لا تغذي الا العواطف الدنيا ، وان نعود الى الاصوات نفسها فنسلط عليها فكرنا العاطفي وفهنا العاطفي ونستخرج منها موسيقى تغذي كل عواطفنا وكل تصوراتنا وافكارنا وتظهر بواسطتها قوة نفسياتنا وجمالها »

« لما اتم سليم عبارته التفت الى الرفقاء فوجدت هيجاً واصحابه قد وقفوا على افكار جديدة لم يكونوا قد سمعوا مثلها من قبل . ثم ان احدهم نظر الي وخاطبني قائلاً : « ما رأيك يا سيد ، في ما يقوله السيد سليم ؟ »

« قلت : « اني اوافق على جميع ما قال واتخذ من حكمه في الموسيقى حكماً في الادب . انظر الى شعرائنا كيف يحدون العيس في منظوماتهم ، وما هم في ذلك الا مقلدين ، لان حدي العيس ليس من شؤون شعبهم ولا من مظاهر تمدنهم ، والى كتابنا كيف يتكلمون عن الغبراء والبطحاء وبلادهم جبلية وسهلية خضراء . ان التقليد قد اعمى بصائرهم عن الحقيقة ، واني لا اعتقد انه لا بد من القيام بجهود جبارة قبل ان تصبح النهضة الادبية معبرة عن حياتنا القومية ولكني موقن بانه سيحيى اليوم الذي يتحقق فيه ذلك وتصير الروحية والعقلية السوربتان ، الغنيتان بواهبها الطبيعية ، معينين ينهل منهما الادباء واهل الفنون والعلماء والفلاسفة الذين يخرجون من صميم الشعب السوري »

« وبعد صمت قصير انصرفنا وقد رسخ حديث سليم في ذهني ولم ترده الايام الا رسوخاً .

« ان الحديث المتقدم بوضوح روح التجدد التي ملأت حياة صديقي سليم وارادت ان تتناول عصرًا وامة . والذي اعلمه ان سليماً كان قد

ابتدا ينظم سنفونية في انتهاء عهد الخول وبزوغ شمس بقظة الشعب السوري . والصدق يوجب علي ان اروي ان سلباً كان يعتقد ان نهضة الشعب السوري ضرورية للتمدن لانه كان موقناً من مزايا الحرية والسلام والمحبة المتأصلة في قومه وهو لم يكن يرمي من وراء ذلك الى غرض سياسي ، بل الى ما هو اعظم شأناً واكثر فائدة من الغرض السياسي . انه كان يرى الفورة السياسية امراً تافها اذا لم تكن مرتكزة على نفسية متينة يثبتها في قلب كل فرد ، سواء كان رجلاً ام امرأة ، شاباً ام شابة ، ادب حياً وفن موسيقي يوحد العواطف ويجمعها حول مطلب اعلى حتى تصبح ولها ايمان اجتماعي واحد قائم على المحبة ، المحبة التي اذا وجدت في نفوس شعب بكامله اوجدت في وسطه تعاوناً خالصاً وتعاطفاً جيلانياً الحياة آملاً ونشاطاً . حينئذ يصبح الجهاد السياسي شيئاً قابل الانتاج واما الوطنية القائمة على تقاليد رجعية رثة فهي شيء عقيم ولو ادت الى الحرية السياسية .

انظر الان ، بعد مرور احدى عشرة سنة ، في هذا الاستعراض حالة فن الموسيقى وحالة الادب في بيئتنا ونوع النفسية المسيطرة على مجموعنا ، الموروثة من ازمة السقوط تحت مطارق الفتوحات البوربية وامواج النفسية الشرقية ، فارى اني قد صورت حالة التخبط في المواضيع الفنية والادبية السائدة في اوساط متوريننا ووضحت طريقة الخروج من تلك الحالة . واني اوافق الان على ما صورت في القصة وارى انه ينطبق على ما تناوله في البحث الحاضر من التخبط الادبي والصراع الفكري في الادب وعلى ما اصف به الان الادب عامة والشعر خاصة . وارى فيه ، عدا ما تقدم ، صلب الموضوع .

قلت ان المشابهة بين ما قلته في الموسيقى وما قلته واقوله في الشعر
تختلف عن المشابهة التي اوردها شفيق معلوف في كتابه الى عمه حيث
يقول : « ان لي رأياً آخر في الشعر . فهو ، في عرقي ، ذلك الشعور النابض
يصور للناس نفوس الناس . ولا تتعدى فائدته - في احايين كثيرة -
هنقعة يصيها المرء لدى سماع قطعة موسيقية جميلة ، مطربة كانت ام مشجية »
فهذه المشابهة بين الشعر والموسيقى لا ترفع الشعر ولا الموسيقى ولا
تعطيها المنزلة السامية التي لها في النفس التي سمت بشعورها وادراكها
وانفلتت من الحدود الضيقة في الفكر والشعور . انها من ملازمات النظرة
التقدمية الى الحياة والفن ومن نتائج تأثير البيئة ونوع الثقافة اللذين حدا
الشاعر المذكور الشعر والموسيقى تحديداً مضنكاً .

اوردت في ما سبق من هذا الدرس رأبي في ضعف تعبير شفيق معلوف
عن الشعر . وكان ايرادي رأبي هناك مقتضياً لم احل فيه غير قوله « بصور
للناس نفوس الناس » . ولذلك ارى وجوب اكمال التحليل لاستخراج الفائدة
الكبرى . وانا اقول « تصوير النفوس » فاقول ان هذا التصوير لا يمكن ان
يحدث بواسطة « الشعور النابض » . واذا حدث تصوير للنفوس بواسطة الشعور
المذكور جاء تصويراً مشوهاً او ناقصاً . والارجح ان يكون حينئذ تصويراً
لشعور الشاعر ، على نسبة وعيه ، بنفوس الناس وما يراه في نفوس الناس .
وقد يكون وعي الشاعر كاملاً وقد يكون ناقصاً . وفي كل حال فالوجهة
الوصفية بواسطة الشعور وحده هي ذاتية بحت (سيكتيف) وضيقة جداً لانها
تكون منحصرة في نفس الشاعر وغير منناولة نفوس الناس كما هي نفوس الناس
ولا اشواقها الى ما تحب ان تكون . اما وصف هذه النفوس كما هي فيحتاج
الى مقدار غير يسير من علم النفس وعلم الاجتماع والفكر الذي يجب ان يلزم

الشعور او يتقدم عليه او يقوده في هذا المسلك الوعر . فتخصيص الشاعر بالعناية بنفوس الناس ووصفها بواسطة «الشعور التابض» الذي يوحي الاندفاع مع السجية اكثر مما يوحي التمعن في الدقائق النفسية والقضايا التي تتعرض لها النفس ليس تخصيصاً موفقاً ، ولا يلزم الشاعر ، بوجه عام ، وصف نفوس الناس ليكون شاعراً . فقد يصف الشاعر عناصر الطبيعة او بعضها او مظهراً من المظاهر الطبيعية او وقائع حربية او غيرها ويكون شاعراً . اما الشاعر الذي « يصور نفوس الناس » ويعنى بالشؤون النفسية فهو ليس ابي شاعر او كل شاعر ، بل شاعراً ذا صفة خاصة ومنزلة منفردة . وكذلك الشاعر الذي يتناول القضايا الفلسفية الوجودية او الغيبية .

ان خليل مطران شاعر شاعر من غير ان يدخل المسائل النفسية . ولعله اضعف ما يكون حين يدخل هذه المسائل . فقصيدة « نيرون » قطعة شعرية خالدة سما فيها خليل مطران على مستوى عصره (في سورية ومصر) وعلى ما تقدمه من عصور ادب اللغة العربية . ولعل اضعف ما في هذه القصيدة ما تعلق منها بالمسائل النفسية . وشفيق معلوف شاعر شاعر في « الاحلام » ولم يصور فيها نفوس الناس وفي « عبقر » وفيها قليل من القضايا النفسية وصورها واوصافها او هي معدمة من هذا القبيل . ولا نجد في « عبقر » « الشعور التابض » الذي نجد في « الاحلام » الا في مقاطع خاصة تدل ميولها البيولوجية على عدم النضج النفسي .

ما حدد لشفيق معلوف تعريف الشعر حدد له ادراك سمير الموسيقى او عمقها . فتمثله فائدة الشعر بانها « لا تتعدى » فائدة سماع قطعة موسيقية جميلة « مطربة كانت ام مشجية » جعله لا يبرى للموسيقى غير ناحيتي الطرب والشجا . وهذه هي الموسيقى المحدودة ، الضيقة ، الاولى . هذه هي

الموسيقى في نظرة الى الحياة ساذجة ، جامدة ، غير جذيرة بالارتقاء النفسي ومجد
المثال الاعلى الخالد .

الطرب والشجو وحدهما هما من ملازمات الحياة الفقيرة في الثقافة
النفسية وفي الفن والمناحي الروحية . وقد رأى القارىء بما قدمت نقلاً
عن قصة « فاجعة حب » ان فائدة الموسيقى لا تقتصر على الطرب والشجا
الا حيث جمدت الموسيقى عند حد هذين الشعورين الاولين بجمود حياة
البيئة روحياً ومادياً . فالموسيقى الراقية تحمل النفس على تأملات فكرية
وتورات روحية فضلاً عن مختلف العواطف الفردية التي هي من شؤون
الحياة البيولوجية او الجنسية . ولكن هذه الموسيقى الراقية هي وليدة عصر
راق او نتاج مخيلة مبدعة قدرت بذاتها ان تتصور عالماً من الافكار
والتأملات والشعور في امواج من الانعام والالخان تحتاج بدورها الى عصر
يفهمها . وهذه الخيلة المبدعة يجب ان تكون متأثرة باحساس بقضايا
الحياة عال جداً لا يكون ، في الغالب ، او لا يجب ان يكون ، ابداعاً خاصاً
بالموسيقى المبدع .

لاشرح هذه النظرية : ان واغنز موسيقى مبدع ولا شك . وهو
في الموسيقى نسيج وحده . ولكن موسيقاه مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باحساس
الحياة المستمد من الاساطير الجرمانية وبالقضايا النفسية والفلسفية المنطوية
عليها حياة ابطال تلك الاساطير . وشعور واغنز نفسه مستمد من
نظرة النهضة الالمانية الى الحياة والكون والفن . ليس واغنز مبدعاً للنظرة
الالمانية الى الحياة ولا واضعاً للاساطير الجرمانية . ولكنه مبدع للموجات
والامواج الموسيقية المعبرة عن النظرة المذكورة وللوانث الشعور
الفلسفي الذي احسه حين قرأ تلك الاساطير وفهم منها ومن نهضة شعبه المزايا

القومية او الجنسية الجوهرية التي جعلته يرى ويبرز تلك المثل العليا الفلسفية التي نراها تمثيلاً ونسجها الحاناً وناشيداً في «لكيريا» و«سيفريد» و«ذهب الرين» و«تاهويزر» و«لوهقرن» و«واساتذة الغناء» و«ترستان وايزلده» وغيرها. فكان واغتر شاعراً روائياً، لانه نظم قصائد رواياته الموسيقية وكان موسيقياً روائياً فلسفياً لانه الف الحان وانغام تلك الروايات الخالدة باسبابها الشعورية والفكرية المعبرة عن نظرة الى الحياة عالية جداً. ويصعب على الدارس المفكر تصور وصول واغتر الى ما وصل اليه من غير اتصاله بمخاطب النفس الالمانية وتأثره بنظرة الى الحياة عالية واحساس عميق بقضاياها، ومن غير نشأته ضمن العوامل النفسية التي اعطت المانيا اتجاهها الصودي.

واذا ذهب احد من ادياء العصر السوري الهالك الى «اوفر» وسمع الحان واغتر افسرها او يطرب او يشجي؟ لا اظن الا انه يعافها، لانه لا يفهمها ولا يفهم موحياتها ولا يدرك قضاياها. وبعد فليس في قصائد واغتر الموسيقية من الطرب والشجا الا قليلاً واكثر واظم ما فيها تأملات فكرية واتجاهات فلسفية لا يقدر على تتبعها من غرضه الطرب او الشجو ومن لا يجد الموسيقى الا تعبيراً عن شعور الطرب وشعور الشجا في مجال ضئيل من الحياة تغلب فيه النزعة البيولوجية النزعة النفسية. ففائدة قطع موسيقى واغتر لا تقتصر على احداث جدل او انبساط او شجا فيزيائي الشعور او بيولوجي النفسية، بل تتعدى ذلك الى القضايا الاساسية، التي تواجهها النفس الانسانية الراقية، المركبة، بكل ما فيها من افكار وشعور ومطامح وميول ومثل وما تتعرض له من الصراع العنيف، الخفي او المعلن، بين الاجمل والافقيح وبين الاسمي والاسفل وبين الانبل والارذل.

لا يكون موقف اديب الجلود والتمول السوري تجاه موسيقى بتهوفن او بيخ او موسر قسكي او ويبر او بروكنر او تشايكوسكي او بردين او رمسكي - كرزاكف او ستراونسكي او شوفين او برليوز او دبوسي او سبالوس او دورياك او شوبرت او غيرهم ، غير موقف المستغرب والمستهجن . فمهندسين سمعت كاتباً صحفياً سورياً في سان باولو ، البرازيل ، ينظر الى نفسه نظره الى اديب كبير ، يقول انه دخل مسرح « المونيسيغال » في المدينة المذكورة ليسمع احدي سنفونيات بتهوفن الطائفة الصيت فلم يطل به المقام حتى عاف السماع وخرج من المكان وهو في حيرة من بلاهة الناس الذين يطبقون الجلوس بدون ملل نحو ساعة او يزيد لسماع موسيقى لا طرب فيها « لطيب العناق على الهوى » ولا شجاً فيها « لطول ليل الصب » ؛ ولشدة سأم « الاديب الكبير » المذكور بما سمع من هزيز ودوي وزمزمة وحفيف وكشيش وقرع ، ويفرج كربه طلب من صاحب المكتبة السورية التي كان يروي فيها قصته ، ان يسمعه بعض اناشيد المغنية المصرية ام كلثوم المطربة ، المشججة ! ولم يكتف بذلك بل صار ينادي صديقاً له ماراً بالمكاتب ويقول له : « تعال لنموت بهذا الغناء » وهو لا يدري انه يقول الحقيقة كلها بعبارة هذه التي استعملها لمعنى آخر !

مع ان الشعر اضيق مجالاً من الموسيقى للتعبير عما تشمله النفس الانسانية من فكر وتصورات وشعور ومنازع ، فان ما حدده شفيق معلوف الموسيقى وفائدتها جعل الشعر نفسه بالمشابهة اضيق مجالاً واقترب فقراً مما هو او بما يمكن ان يكون بعد ان تنجلي لنفس الشاعر نظرة أعلى في الحياة الفردية والحياة الاجتماعية ومطالب اسمى للجمال النفسي واحساس ادق باغراض الوجود وجوهره المستقر في النفس ضمن الوجود وليس بعد الوجود ولا قبله . فاني اعتقد ، بطبيعتي

السورية ، ان كيان النفس هو في الوجود ولاجل الوجود ، مهما كانت طبيعة هذا الوجود في ذاته ، ومهما كانت علته ، وليس لاجل « الفناء » في « وحدة الوجود » .

لا اعتقد ان بلوغ هذه المرتبة يتم للشاعر السوري او غيره بقراءة سفر اشعيا من التوراة اليهودية ولا بتقوية الاتصال « بالادب القديم » الذي هو تعبير غامض في ذاته ، ولا باحسان الاداب الاجنبية القديمة التي اوجدت الادب الاجنبي الحديث ولا بتوشية الكتب واتقان الطباعة ، بل بالاتصال بمجرد حياة يجد فيه الشاعر نفسه ونفس امته وجميعة وطبيعته وحقيقة طبيعته ومواهبها ، وبإدراك عمق النظرة الى الحياة والكون والفن الملازمة لهذا المجرى الذي يزداد قوة مع الايام .



مِنَ الظِّلْمَةِ إِلَى النُّورِ

شورته وانه كمال النفس هو في الوحدة ولا حل بالوجود ، مما كانت عليه
هذه الوحدة في الآلة ، وهذا كانت كلمة التوسيع (الحل أو الغناء) في الوحدة
التي وردت في
لا اعتقد ان يوجد علم الزانية مع الشاعر السوري او غيره من الشعراء
لأنه من الزواني في هذا ولا تكفي الاشارة الى ذلك العليم الذي هو صريح
عالم في ذاته بل لا يسهل الاشارة الى ذلك في اوقات الاقضية الاحي
العلمت ولا يسهل الاشارة الى ذلك في اوقات الاقضية الاحي
الشاعر بل ان نفس تلك وعنده وحشية طليعة وطليعة حكمة ومعرفة
العلمت من الطرفة الى العلمت من الطرفة الى العلمت من الطرفة الى العلمت
لأنه من العلمت من الطرفة الى العلمت من الطرفة الى العلمت من الطرفة الى العلمت

ترغيباً الى العلمت من الطرفة الى العلمت من الطرفة الى العلمت من الطرفة الى العلمت

كلمة

من الظلمة الى النور

بعد ظهور امر الحزب السوري القومي الاجتماعي وحصول الاختبارات الواسعة لاهمية عقيدته وتعاليمه القومية الاجتماعية ، التي تفتح عهدا وتاريخا جديدين وتجلو نظرة الى الحياة والكون والفن جديدة ، ووضوح عظم المهمة التي يقوم بها هذا الحزب قال لي الامين جورج عبد المسيح ، وهو من رجال المجلس الاعلى ومن اشدر رجال الحزب اخلاصا واقداما ومن خطباء الحركة القومية الاجتماعية وكتابها واداريها :

« لو كنت قويا قبل ابتدائي دروسي النهائية ، اذن لكنت استفدت من دروسي اكثر كثيرا مما استفدت ، اذ كنت عرفت كيف يجب ان ادرس - واطن اني اعبر عن رأي غيري ايضا »

الامين عبد المسيح كان طالبا في الدائرة الاقتصادية في الجامعة الاميركانية . وكان في السنة النهائية حين قبل فكرة القومية الاجتماعية . ولم يستوعب اهميتها ويفهم خطرها وبعد مراميتها وقضاياها الا بعد ان اجتازت هذه الفكرة مرحلة واختمرت بالاختبار والشروح ومعالجة المسائل التي اعترضت نشوءها ونموها . وكانت لدروسه المدرسية نصيب في شغله عن درس موضوع التعاليم الجديدة . فانهى دروسه على اساس النظرة الفردية اللاقومية الرامية الى النجاح الفردي البحت بلا مبالاة بشيء آخر . ولكنه بعد ان سار شوطا في الحركة القومية الاجتماعية اخذ يستعيد بعض النظرات ويدقق فيها وصار يفهمها فيها جديدا .

لم يكن الامين عبد المسيح وحيدا في هذا الشعور . فالامين فخري معلوف ترك الاشتغال في بواطن النجوم بعد ان صحت به : « اشتغل بفحص بواطن النجوم وانت لا تدري لمن تكون الارض التي تحت قدميك غدا ؟ » . وبعد ان استوعب الفكرة القومية الاجتماعية قال لي مرة « الان صرنا نفهم مقالاتك في المجلة » وهي المقالات التي كتبها لاعداد « المجلة » التي استأنفت اصدارها في بيروت سنة ١٩٣٣ ولم يصدر منها سوى اربعة اعداد ، اذ اضطرت لايقافه من اجل صرف كل عنائي الى تنظيم الحركة القومية التي كانت تحتاج الى انشاء وتأسيس كل امر من امورها ، اذ لم يكن قبلها شيء اداري او اجتماعي او سياسي او ثقافي او دستوري او مناجي يصح اعتياده لنوع هذه الحركة الجديدة .

مثل قولي الامين عبد المسيح والامين معلوف سمعت من غيرهما . والامين فخري معلوف غير اتجاه دروسه فدرس بعض الاقتصاديات والسياسة وهو يعلم في الجامعة ثم انتقل الى الفلسفة فتخصص فيها وقد عرف ، على ضوء النهضة القومية الاجتماعية ، ما يدرس وكيف يدرس (من المؤسف ان يكون حدث لفخري معلوف مؤخراً انحراف نفسي ظاهر نحو القضايا الغيبية واللاهوتية) والذين ادركوا خطورة هذه النهضة وشعروا بعظم حقيقتها وهم بعد في بدء دروسهم النهائية او قبل بلوغها ظهرت فاعلية مبادئ النهضة في دراستهم . وجميع هؤلاء والذين صقلت التعاليم القومية الاجتماعية ثقافتهم وجلت وعيهم وابقظت مواهبهم هم الان قوى روحية كبيرة في هذه الحركة الباعثة امة عظيمة من مرقدها .

في اواسط سنة ١٩٣٥ ، قبل اعتقالي ومعاوني في ادارة الحركة السورية القومية الاجتماعية ببضعة اشهر ، انضم الى هذه الحركة شاعر كان اسمه قد ابتدأ

يدور على الالسنه في اوساط سوربه الادببه وخصوصاً في لبنان . هو سعبد عقل ناظم ملحه « بنت يفتاح » . وقعت في يدي نسخته من هذه الروايه الشعربه فقرأت بضعه مقاطع منها فاحسست فيها شاعربه بمتازه جديرة بتناول قضايا الحياه والنفس . ولكنني لم اطق قراءتها كلها لاني وجدتها تخدم موضوعا غربيا عن المواضيع السوربه ، محتصا باليهود اعداء سوربه . رأبت موهبه شاعر سوري جدير بالتعبير عن النفس السوربه ، ولكنها موهبه خارجه عن المواضيع السوربه وعن خطط النفس السوربه . وهي تخدم اتجاهات ومثلا في انتصارها انكسار لسوربه ومثلها العليا ومطامحها وقواها . ومع كل الشاعربه الجيده الظاهر في الملحه لم اجد فيها ما يمكن ان يفتح للادب السوري مدخلا جديداً وان يحدث فيه تغييراً او تجديداً ، على الاقل التغيير او التجديد المنتظر ان يجعل سوريا في مصاف الامم السنيه لها ادب حي جديز بالبقاء وباحتمال مركز عالمي .

رأبت في « بنت يفتاح » مظهرأ من مظاهر « ادب الكتب » الذي عرضت له في مقال نشرته في « المجله » في بيروت باسم مستعار وبعنوان « ادب الكتب وادب الحياه » وقصدت ان الفت فيه النظر الى ان ما نحتاج اليه هو ادب الحياه ، اي الادب الذي يفهم حياتنا ويرافقنا في تطوالنا ويعبر عن مثلنا العليا وامانينا المستخرجه من طبيعه شعبنا ومزاجه وتاريخه وكيانه النفسي ومقومات حياته وهي من الامور التي شغلت اكبر قسم من تفكيرني في البعث القومي واسبابه ، ورأبت ان تركيز الادب عليها غير ممكن الا بالاتصال بنظرة الى الحياه والكون والفن جديده تحسم لنا مثلنا العليا وتسويها وتصور لنا امانينا في فكره فلسفيه شامله تتناول مجتمعنا كله وقضايه الكبري الماديه - الروحيه من اجتماعيه واقتصاديه ونفسيه وسياسيه

وفنية . وقد عبرت عن هذا الرأي ، بطريقة اخرى ، في ختام شرح مبادئ
الحزب السوري القومي الاجتماعي بقولي : « ان غاية الحزب السوري
القومي هي فكرة شاملة تتناول الحياة القومية من اساسها ومن جميع وجوها .
فهي تحيط بالمثل العليا القومية وبالغرض من الاستقلال وبانشاء مجتمع
قومي صحيح . وبنظوي تحت ذلك تأسيس عقلية اخلاقية جديدة ووضع
اساس منقابي جديد » . بهذه النظرة رأيت امكان انشاء ادب جديد فيه
كل عوامل التجديد ودوافع البعث . فالادب الذي يخدم هذه الغاية او
اية غاية مماثلة لها هو « ادب الحياة » الذي عنيته . هو الادب الذي يكشف
عن عظمة مطامح نفسية هامة وسمو مراميها . هو الادب الذي مهمته ان يكون
« منارة للجماعات » وليس « مرآة لها » . انه ادب النوازع والعبارة الذين اذا
فات بعضهم ان يكونوا مؤسسين للفلسفة والنظرة الى الحياة الجديدين فلا
يفوتهم ادراك المثال الاعلى الذي تشتملان عليه والنفسية الجديدة التي تقتضيها
فيحاولون النظرة الجديدة الى الحياة والكون والفن وقيمون بها ادباً جميلاً
خالداً لانه يحمل عوامل حياة جديدة بنظرتها وفلسفتها ورغباتها فيكون بذلك
النهوض الادبي المساوق للنهوض السياسي المبني بدوره على وجود النظرة الفلسفية
الجديدة في الحياة الانسانية وعواملها واغراضها الاخيرة .

لم تكن « بنت بفتاح » تنطبق على مرمى التجدد الروحي في سورية وعلى
ما يبرجى من الادب الجديد الذي كانت سورية تتوق اليه توقاً داخلياً ، لانها
كانت بعيدة عن مواضيع الحياة السورية وغير متصلة بنظرة فلسفية يمكنها ان
تستغرق امواج النفس السورية . فلم يستهوي موضوعها . وصور الجمال التي فيها
بقيت غريبة وجامدة ، مع انها صور احساس سوري ضمن حوادث موضوع
غريب معاكس لاتجاه الشعور السوري ، فرأيت ان الفت نظر الشاعر الى

مطالب النهضة السورية في الادب فانتهزت فرصة زيارة قمت بها لمنغذية الحزب السوري القومي الاجتماعي للبقاع الشمالي في زحلة ، بعد خروجه من السجن المرة الثانية سنة ١٩٣٦ ، لتنفيذ عزمي . كانت الدعاوات المفسدة قد لعبت دوراً هاماً في مديرية زحلة ، في اثناء غيابي الطويل في السجن مرتين متواليتين مع فترة قصيرة بينها . وكانت الاذاعة الشيوعية قد اخذت تعبت ببعض الرفقاء ومنهم سعيد عقل الذي وجدته شبه مقتنع بانه لا حاجة لنهضة قومية اجتماعية في سورية ، اذ العالم كما قال له بعض الشيوعيين ، على ابواب صراع بين الشيوعية والرأسمالية وايها انتصر قضي على كل امل لسورية بتحقيق بعثها . فاوضحت للترعزين مقدار الخطر على مجتمعهم وعلى انفسهم من تقلبهم في العقائد تقلب الاوراق تلعب بها الريح . وفي نهاية حديثي اليهم وجهت خطابي الى سعيد عقل خصيصاً ومدحت شاعريته الممتازة ولته لعدم اهتمامه بالمواضيع التي هي من صميم الشعب السوري وتاريخه . وسألته هل لم يجد في تاريخ سورية من روائع المظاهر والمكنونات النفسية التاريخية ما يستهويه لاستخراج كنوزها واستئناف مجرى خططها السامية ؟ فلم يجر جواباً فاشرت عليه بقراءة كيفية بناء قرطاضة العظيمة وتحولها الى قاعدة امبراطورية فسيحة الارجاء شديدة السطوة وحوادث تاريخها الموقظة الشعور والمنبهة الفكر ، او قراءة شيء من اي دور من ادوار تاريخ سورية القديم فيتمكن ، بفضل اتصاله بالنظرة السورية القومية الاجتماعية ، من ربط قضايا سورية القديمة بقضاياها الجديدة وايجاد موصل الاستمرار الفلسفي بين القديم السوري والجديد السوري القومي الاجتماعي واستخراج المثل العليا الفرعية والتفصيلية الجوهرية في الاخلاق والمناقب وابراز اجمل المظاهر النفسية واسنى المواقف المناقبية حسب الاحساس والتصور للملازمين حُصائص النفسية السورية . تركت هذا المعنى في ذهن سعيد عقل وخرجت من المكاف

غير منتظر جواباً .
بعد سجنني المرة الثالثة وفي اواخر سنة ١٩٣٧ او اوائل سنة ١٩٣٨ ،
اوصل الي الامين فخري معلوف نبأ جعلني اشعر بوجة حرارة تجري في جسمي
كله . قال لي الامين معلوف ان سعيد عقل يشتغل في قصيدة او ملحمة عنوانها
« قدموس » السوري التاريخي الذي علم اليونان الاحرف الهجائية والكتابة
وله قصص بطولة اسطورية جميلة ، وانه قد انجز قسماً منها اسمعه بعض مقاطعه
وانه يود ان يجتمع بي لسمعني ما قد نظم . لم يمكنني دور الجهاد العنيف الذي
كنت فيه من تحقيق رغبة الرفيق سعيد عقل ولكنني شعرت برغبة شديدة في
الالتقاء به ليقراً في ناظري تقديري العظيم وشكري (وإني آسف ، بعد وفوقي على
رواية « قدموس » من نظم سعيد عقل لاني لم اجد فيها ما كنت اتوقعه . فقد
حاول المؤلف ان يصنع الحقائق التاريخية والاساطير التقليدية بصبغة محلية
ضيقة فاساء الى الاساطير والى الواقع التاريخي).

سردت هذه الحوادث كما حدثت ، مفضلاً اخذ المثل من الحاضر ومن شؤون تاريخ
نهضتنا التي في مقدور كل مؤرخ ومحقق تحييصها وسوء ال افرادها الذين هم احياء وفي فتوة
الحياة ، ليسهل ادراك نظريتي في كيفية نشوء ادب جديد حي ينشؤ نظرة فلسفية
اجتماعية جديدة صدرت عنها حركة سياسية واسعة تناولت حياة امة بأسرها
وامتد تأثيرها الى الامم المجاورة وامتزجت انعام موسيقاها الخاصة بالانعام الخاصة
الصادرة عن امم اخرى تشترك في الارتقاء النفسي على الحان المجد المكتسب بانتصار
الافضل والانبيل والاعز على الاسوء والارذل والاذل ، ولفهم ضرورة النظره
الفلسفية الجديدة الى الحياة والكون والفن للتجديد الادبي او الفني .

ويصعب علي كثيراً ان اتصور ان مجرد قراءة تواريخ قديمة والاطلاع
في الادب العربي القديم ودرس الادب الانترنسيوفي الحديث يكفي لايجاد

نهضة ادبية فنية اصلية جديدة في سورية ومصر او في اية امة من امم العالم ، على وجه القياس . كل ذلك يحتاج الى الحافظ الروحي المستمد من فكرة او عقيدة فلسفية جديدة في الحياة وقضاياها . وبدون هذا الحافظ الروحي ، الذي هو شيء حقيقي ، لا وهمي ، لا يكون الادب سوى الوان تقليدية او استعارية باهتة لا نضارة لها ولا رونق ولا شخصية . فلا هو شيء جديد من الوجهة النفسية يطبع خصائصه على الحقب والاجيال ولا هو شيء قديم اصلي محتفظ بخطوط شخصية صحيحة تظهر قوتها في ملاحظها الصريحة ، التي لا يتالك الناظر اليها من الشعور بحقيقتها والاعجاب بمقدرتها على البقاء وبجاذبية مزاياها الاصلية الخاصة .

لو كان الحافظ الروحي المستمد من فلسفة العقيدة السورية القومية الاجتماعية اتصل بجميع رجال العلم والادب الذين انضموا الى هذه العقيدة ، قبيل ابتداء دروسهم الشبه اختصاصية لما كانت تلك الدروس ، ظلت هياكل عارية ، ميتة لا حياة لها ولا حراك بها ، حتى جاءت النهضة القومية الاجتماعية بمبادئها وصورت العلوم الميتة علوماً حية فاكنت العظام لحمًا ونبضت عروقها بدم الحياة الحار . وبدون الحافظ الروحي الواعي لا تفيد كثيراً قراءة شكسبير وغوته ولا العودة الى سفر اشعيا ولا زيادة العلم ولا التعمق في الادب القديم .

ان العراك السياسي العنيف الذي اضطرت النهضة السورية القومية الاجتماعية للدخول فيه في جبهتين داخلية وخارجية ، قبل اكتمال نموها الطبيعي وقوتها ، حال دون حصول نتاج ادبي كبير ، واسع ، شامل . ولكن الحافظ الروحي الذي ولدته هذه النهضة الحقيقية قد حرك عوامل الحياة والارتقاء في جماعات كثيرة وايقظ وجدان الوف الاحداث والطلبة في طول البلاد

وعرضها . والعقيدة آخذة في الاختار والفكر قد أبتدأ يتبلور وسيجيء دور الانتاج الادبي والفني الواسع ، الذي ينهض بالعصر الذي ابتداءً تاركاً في الحضيض العصر الذي اخذته حشرجة النزوع (وقد جاء بالفعل هذا الدور وقد بدت طلائعه في عدة مؤلفات ذات قيمة) .

ان من نتائج حصول نظرة فلسفية جديدة الى الحياة والكون والفن ، حدوث تغيير في مجرى الحياة ومظاهرها ، وفي اغراضها القريبة والاخيرة ، قبل كل شيء . وهذا ما حدث في سورية بوجود النظرة الفلسفية السورية القومية الاجتماعية ، ليس فقط في ما تعلق بالادب والفن ، بل في ما اختص بالاعمال والاخلاق والمناقب .

اتفق لي اكثر من مرة ان سمعت هذا القول من منضمين الى الحركة السورية القومية الاجتماعية مدركين : « لم نكن نعلم اي درك من الانحطاط الاخلاقي وضعف المناقب بلغ شعبنا ، الى ان دخلنا في الحزب السوري القومي الاجتماعي . الان اصبحنا ندرك الفساد المتفشي في امتنا وخطره على حياتها » . حصول النظرة الفلسفية الجديدة الى الحياة والكون والفن يفتح آفاقاً جديدة للفكر ومناحي جديدة للشعور كما قلت آنفاً . وهنا نقطة الابتداء لطلب سياسة جديدة واسكال سياسية جديدة وفتح تاريخ ادب وفن جديدين . فالادب والفن لا يمكن ان يتغيرا او يتجددا الا بنشوء نظرة فلسفية جديدة يتناولان قضاياها الكبرى ، اي قضايا الحياة والكون والفن التي تشمل عليها هذه النظرة .

قد يسأل سائل : « هل من الضروري ان يكون التجديد الادبي خاصاً بمواضيع امة معينة فاذا تناول غيرها بطل ان يكون تجديداً وفقد قيمته الادبية ؟ »

جوابي : كلا ليس من الضروري . فالقيمة الادبية او الفنية ليست في هوية او « جنسية » الموضوع ، بل في القضايا التي ينطوي عليها الموضوع وفي كيفية معالجة القضايا وفي النتائج الروحية الحاصلة من هذه المعالجة . اما ذاتية الموضوع وزمانه ومكانه فلها ناحية شعورية خاصة وتقل اهميتها او تعظم على نسبة الغرض الحفي او المعلن الذي يسوق الموضوع اليه . على ان الاتجاهات الفكرية والشعورية تتأثر بالموضوع ، الذي اذا كان خاصاً « كسنت يفتاح » تعرض لفقد كل تبرر عام ولان يكون مخالفاً او مناقضاً للمثل العليا التي يبغيها الشعب المكتوب له الموضوع وللخطط النفسية التي تبرز بها مواهبه الجديرة بالاعجاب والبقاء . « فبنت يفتاح » مثلاً ، تدخل في الادب اليهودي الخاص اكثر مما تدخل في الادب السوري ، لانها تتناول موضوعاً يهودياً بحيث تبقى اسبابه ونتائجه ضمن اطار المظاهر اليهودية وكذلك موحياته وجواذبه ، خصوصاً والشاعر قد نظم القصة ولم يحصل له الوعي القومي ولم يدرك النظرة الجديدة الى الحياة .

ان الاعتماد على المواضيع الغريبة لا ينشئ ادباً شخصياً لمجتمع له خصائصه التي يمكن ان تضاف الى مجموعة الآداب العالمية ووحدات خصائصها . انه ليبرر تناول بعض المواضيع الاجنبية ، بعد نشوء الادب القومي او الخاص على نظرة الى الحياة والكون والفن واضحة . فيكون تناول تلك المواضيع بهذه النظرة او بهذا الوعي الذي له خصائصه فيكسبها من خصائصه ما يضيف اليه الوانا واشكالا متميزة . وفي هذه الحالة يجب ان تكون تلك المواضيع ذات اهمية خارقة ، تاريخية او حقوقية او انسانية ، قابلة للاشتراك بين الشعوب او بين بعضها . فمثل الف « عذراء ارليانس (ارليان) » في جان درك . ولكن ليست هذه الرواية الانتاج الذي اعطى شارة مقامه الادبي . وهي ليست سوى

جزء يسير مما كتب شار . واهم ما كتب شار ، على رأي جمهور نقاده ، هو « حرب الثلاثين سنة » في الحرب الشديدة التي جرت في المانيا بين الكاثوليك والفروتسطنت . فالموضوع المائي صميم وقد كتب فيه شار نثرا ، ونظم فيه قصيدتين او ملحمتين عاليتين جداً ، الواحدة في بطل الكاثوليك ولنشتين والثاني في بطل الفروتسطنت قستاف ادلف . ومع ان هذا الاخير هو ملك اسوج فتد تدخل في شؤون النزاع الديني الالماني ودخل في تاريخ المانية . والموضوع وسياقه ابرزنا شاعرية ممتازة وجدت نفسها في بيتها وفي بيتها فوافق ذلك المثل البسيط « رب البيت ادري بالذي فيه » . ففي وصف ولنشتين ، مثلاً ، تظهر صورة حية ذات رواء نادر . واتمنى ان تكون صورة ابطال سورية في قصائد شعرائها اهي سناء من قصيدة شار في ولنشتين وجديرة مثلها باحتلال مركز عالمي ممتاز .

وهذه « عبقر » لشفيق معلوف . هي ايضا قصيدة سورية في موضوع غريب . وساتناولها بتشريح لم يمكن ان اتناول به « بنت يفتاح » لان تلك قد اصبحت امامي بفضل احد المعارف .

لا شك عندي في ان عباس محمود العقاد لا يجد سبباً للتذمر من مظهر الكتاب الذي طبعت فيه القصيدة . فورقه حقيق واصفر يريح العينين . وصفحاته كلها ذات طراز ولكل نشيد من اناشيد القصيدة صورة رمزية من رسم فنان ايطالي .

موضوع القصيدة عبقر العربية التقليدية وهي « قرية تسكنها الجن . ينسب اليها كل فائق جليل » . وقد اراد الشاعر ان يقوم بسفرة معراجية او معرية او دانتيية الى عبقر . وكما سار محمد بصحبة جبريل الى الجحيم والسما . فتعرف اليها وكما فعل الشاعر السوري الخالد ابو العلاء المعري وكما فعل شبه

فعله دانتي الغياري في « ديونه كميده » ، كذلك سار شفيق معلوف صحبة شيطان شعره الى عبقر .

لماذا اختار شفيق معلوف « عبقر » موضوعا لشعره ؟ لا اظن الا انه احب « الابتكار » ودافع ان يقلد من غيره ضمن نطاق ادب اللغة العربية ، اذ ليس لموضوع القصيدة ، ابي لعبقر ، اية قضية نفسية او فلسفية عامة كالتي للجحيم والسما . وهذا الموضوع مجهول في سورية الا عند الذين اكبوا على دراسة التقاليد والحرفات العربية كالمستشرقين ومن جرى مجراهم . وصوره الاصلية هي صور خرافات واوهام تلازم الجماعات البشرية المكتنفة نفوسها ظلمة الجهل والغفلة والوحشة . فخيالاتها غرائب لا منطقية ولا تسلسل فلسفي لها ، كظهور الجن وركوبها الارنب والظبي واليربوع والحية وغيرها ، ومخاطبة الجن وغير ذلك ، وكمجائب الكهان الذين يولد بعضهم بلا عظام وبعضهم نصف انسان . وهذا النوع من الحرفات لا مغزى له غير ما يدل عليه من حالة الاقوام التي تمارسه . وعلى عكس ذلك الاساطير الراقية ذات الصبغة الفلسفية المتناولة قضايا الحياة الروحية والمادية ، الملازمة للجماعات البشرية التي اظهرت استعدادا نفسيا عاليا وجعلت اساطيرها ذات مغزى في الحياة وفي المات ، كالاساطير السورية التي اثرت تأثيراً كبيراً في الاساطير الافريقية وساعدت على نشوء ابداع الشعر الكلاسيكي واسمى التفكير الفلسفي . ولا بد هنا من تصحيح الاعتقاد الشائع ان الشعر الكلاسيكي يبتدىء بهوميروس . انه يبتدىء ، مئات من السنين قبل الياذة هوميروس ، بقصيدة « طافون » في سورية ، في رأس شمرا ، التي يرجع انها « اوقاريت » القديمة ، كما اظهرت التنقيبات الجديدة بين سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٢ .

لم يتناول ناظم « عبقر » هذا الموضوع العربي بقصد تصوير حالة العرب

النفسية في خرافاتها وتخيلاتها وهي تغدو وتروح بين كسبان الرمال وفي
مفاوز الصحراء وسباسها ووسط انجادهما ووهادهما ، بل كان قصده ان يجد
في تلك الصور الاولية ، التي منشأها مخاوف الجهل وهو اجس الاضطراب تجاه
الحفاء ، مغازي الاساطير العليا ، الراسمة لقضايا الحياة الانسانية ومسائنها
النفسية الكبرى رموزا فلسفية في غاية الدقة من التمعن وقوة الملاحظة
المتنبهة بالاستعداد الذاتي والاتجاه الدال على طموح نفسي عظيم الى ادراك كنه
الحياة والوجود والبقاء والفناء والاعراض العظمى من الوجود الانساني ، مما
هو من شأن الجماعات الاخذة باسباب الرقي الفكري . فكان قصد الشاعر اعظم
واعلى من الاسباب التي اراد بلوغه بها والنتيجة الاخيرة التي وصل اليها ناظم
« عبقر » ليست من النتائج المسعدة التي يرغب فيها الادراك العالي . حاول
الشاعر ان يرقى بالخرافات العربية الى مرتبة الاساطير الفلسفية فنزل بفلسفة
الاساطير الى حالة لا منطقية .

لعل اعظم مدح لشاعرية شفيق معلوف انه حاول ان يربط جميع
الاورهام العربية التقليدية في عبقر والجن والكهانة بخيط من الفكر والشعور
يتعلق بموضوع من اهم المواضيع الانسانية : الحب . لا اظن احدا سبق شفيق
معلوف الى هذه المحاولة ولا اعتقد ان احدا سيدر كه في مثلها . انها ابتكار
ولكني لا اتنى ان يجد مقلدين كثيرين في سورية .

لم يكن شفيق معلوف محتاجا الى هذه السياحة الطويلة الى عبقر ليظهر
انه شاعر في الوصف الروائي . ولم يكن محتاجا اليها عبارة ليصل الى تمجيد
الحب الغاني الذي يتغذى بدم شرابين الشباب وينمو بحرارة اجساد الفتوة ثم
يجف مع جفاف الشرابين ويتقلص بتناقض الحرارة ويفنى بفناء الاجساد .
تمتاز « عبقر » على « بنت بفتاح » وعلى كل ما وقع عليه نظري في

الشعر السوري والمصري والعربي القديم والحديث ، باستثناء إنتاج الشاعر السوري الكبير ابي العلاء المعري ، بانها شيء مركب بابداع الخيلة التي انشأت فضوله و « مؤلف » بعناية اشترك في تأليفه الفكر او العقل مع الشعور ، وبانها محاولة مركبة تدل على مؤهلات الناظم للصعود فوق العواطف والانفعالات العارضة او الفطرية ولتناول المواضيع الانسانية المتعلقة بصفات الانسان الجوهرية الباقية . تمتاز بانها خيالية وبان الخيال فيها مربوط بالعقل ، وبان الفكر لم يهمل فيها لتترك العاطفة على سجيتها .

هذه حقائق الشعرية الكبرى في « عبقر » . ولكن يلاحظ في هذه الشعرية الخلو من النظرة الفلسفية الى الحياة والكون والفن القادرة على التأسيس او البناء حياة اسعد حالاً وابقى مآلاً . واعتقد ان الخلو من هذه النظرة هو السبب الذي حمل الشاعر على دفن شاعريته في تتبع الخيالات والحرفات العربية الخالية من المغزى الفلسفي او من سحر الجمال ، ومعاناة استخراج بعض الرموز والمغازي من جميع تلك الاستعراضات الغريبة ، من ركوب ظهر الشيطان الى ذكر عرافة عبقر الى عبقر بذاتها ، كما يتصورها الشاعر ، الى « مراكب الجن » ، الى الجن ، الى السكاهنين سطوح وشق وغير ذلك من اضغاث الاوهام التي لا تجد فيها اي تعبير او مغزى فلسفي يصلح لتوسيع افق النفس في الحياة ومراميتها . ولذلك اجد « عبقر » خالية الا من استعراض الحرفات الشبكية واعتقادات اولية بالية في « حديث العرافة » وتمجيد للحب المتلطي في الشفاه ، وكل ذلك بأسلوب شعري جميل جزات « معانيه » ولطفت ديباجته وحلت رفته ، ولكنه لا يوجد في النفس غير لذة تشبه اللذة التي تورثها خمر جيدة تسعد باحتساؤها وتشل بدبيها وتلتذ بذكراها ولا شيء وراء ذلك . ومع هذا ففي « عبقر » ابيات فيها لمحات او لمعات نفسية تكاد تصل الى الثورة الروحية كقوله :

ما الفرق في نومي وفي يقظتي وكل ما في يقظاتي رؤى .
في « نشيد الكاهن سطوح » وفي « حديث الكاهن شق » يجد الباحث
محاولة للافتراب من الفلسفة والفلسفة الاجتماعية . ولكن ليس في هذا الافتراب
غير بجارة الاعتقادات القديمة كقوله على لسان سطوح :

والخلق من حمقى ومن اغبياء

يجرون كالعميان خلف القدر

وفوقهم يلمع سيف القضاء

وتحتهم تغفر فاها الحفر

وكقوله على لسان شق :

ما ضربي والواحد السرمد .

لم يجب جسمي بيدن اثنتين

ما زال للقضاء فوق يدي

فليس بي من حاجة للبدن

ولكنه في « حديث شق » يخرج الى تأملات اجتماعية بعضها ذو صبغة
مناقبية متففة مع خطط التفكير السوري كقوله :

شذب مني الاغصن الفاسدة فصلحت بقيتي الباقية

هل تنفع اليدان والواحدة تهدم ما تشيده الثانية

وكقوله :

وان قلبا بعضه يشعر

وبعضه كأنه الجهد

حسبي منه نصفه النير

لا كان قلب نصفه اسود !

فالبيتان الاخيران والبيت السابق لهما من اجمل واسمى التعابير
الشعرية في حيز من الفكر صالح لتثبيت قواعد الاجتماع والعمرات ولتقوية
المناب الضعيفة .

اتناول اخيراً الغاية الاخيرة من «عبر» - الحب
الصورة التي يرسمها شفيق معلوف للحب ليست في «عبر» ارقى منها في
«الاحلام» الا قليلا . انه الحب الجاهلي او البربري او الفطري . انه الحب الذي
لم يروضه التمدن ولم تقومه الثقافة ولم ترتفع به النفس . في «اغنية الجنية» يظن
المدقق ، باديء بدء ، ان الشاعر يحاول تصوير ميول الجن وشهواتها ليخرج من
ذلك الى فكرة فلسفية في الحب ومغزاه ولكن ختام القصيدة ، «همس الجماجم»
العبقرية ، يثبت ان صورة الحب التي يراها الشاعر هي صورة الضم والتقبل
وارتجاف الاضلع وطلب الاجساد الاجساد . والشاعر يتدرج منذ البدء نحو هذه
الغاية او هذا المثال . ففي تصويره « اميرة الجن » يكني عن الحب الذي يرمي
اليه بقوله :

مست بروح ليس من عبقر

غادرها غرقى ببحرائها

فكانه يريد ان يقول ان روح الانس دخل في جسم اميرة الجن فجلب
اليها امانى الانسان وتصوراته فاذا هي الشهوات الجسدية الملحة :

ويحي ! من يشبع في النهم ؟

أكلها استلقت على معصي

روح ، فقربت اليها فمى

تملصت ... فلم اقبل ولم

اضم الا عدما في عدم ؟

ويستطرد الشاعر ، مصورا عالم الانس ، فيقول :
في العالم الاخر حيث الارح
يجاذب الانفس اهواءها
متى تلتظت شهوة في المهيج
لم تعدم الاجساد اطفاءها .
ما فيه غير الحب ملء الفضاء .
ملء الثرى ، في الغاب في ظله .
فوق الجبال الناطحات السماء ،
في الماء ، في كيانه كله ...
هذه هي صورة الحب التي يراها الشاعر في عالم الانس في رسمها في « اغنية
الجنية » . وانظر كيف يتابع الشاعر في هذا النشيد وصف الحب :
من لي ببح نوره ينبليج
من شرر محتدم في المقل ؟
من لي بشعر لاهب تنفرج
تغرته عن شعلات القل ؟
من لي بذبي صدر خفوق البج
في صدره وان يكن يمتلج
لعاصف الموت اختلاج الشعل ..
ما نفع روح خالد عشت فيه
ما زلت لم احضن ولم احتضن
ينتقل الشاعر من الجن الى « العقبين » ويعني بهم الشعراء فيرى
مشاويهم ويسمع همس جماجمهم فلا ترى فرقا بين ذكرباتهم واما في الجنيات وهاك

ختم الرواية وفيه غايتها الاخيرة ومثالها الاعلى : *قلنا له ايه مقلتي*

تالله لا الاصنام ولا الحرافات *ربما نضع يدينا*

تهز منا العظام ونحن اموات *ما ربحنا شيئا من ان نركب الا*

تلاشت الاوهام *ربما كان الهة ذلال*

واهلها ماتوا *ربما نضع يدينا*

لكن من يهز منا الرفات *ربما نضع يدينا*

فهو الذي كل امانى الحياة *ربما نضع يدينا*

يفتر في ثغره *ربما نضع يدينا*

وكل ما في الارض من ذكريات *ربما نضع يدينا*

بغفو على صدره *ربما نضع يدينا*

..... *ربما نضع يدينا*

لا تستطيب النجوم غير تهاليبه *ربما نضع يدينا*

وليس تبكي الغيوم في غير منديه *ربما نضع يدينا*

..... *ربما نضع يدينا*

ذاك هو الحب لصيق الثرى *ربما نضع يدينا*

ما لجناحي عزمه نهض *ربما نضع يدينا*

خصوصا به الجنة وهو الذي *ربما نضع يدينا*

مضجه القتاد والقض *ربما نضع يدينا*

والحب في الجنة ما شان *ربما نضع يدينا*

ولا اذى فيها ولا بغض *ربما نضع يدينا*

القهوه للنار وان ارمضت *ربما نضع يدينا*

اقدامه المواطىء الرمض *ربما نضع يدينا*

وليتلقفه شواظ اللظى
وليتلهم بعضه البعض
فالارض ان كانت جحيماً له
وكان فيها تنها الارض

هذا هو كل مرمى القصيدة . الصورة الشعرية رائعة ولكن التصور
المثالي فظري ساذج . ويمكن ان ينعت بالجاهلي او الوحشي . فالحب ، كما
يصوره الشاعر ، هو نزعة بيولوجية بكل ما فيها من ميول واشواق جسدية ، لا
غاية نفسية مثالية تتخذ من الغرض البيولوجي سلماً لبلوغ ذروة مثالها الاعلى
حيث تنعتق النفس من قيود حاجة بقاء النوع ولذا تذاذ اغراضه ويشاد ببناء نفسي
شامخ لحياة اجود وحيث يصير مطلب الحب السعادة الانسانية الاجتماعية الكبرى .
فيكون الحب اتحاد نفوس . ولا يكون اعتناق الاجساد غير واسطة لتعاقب
النفوس المصممة على الوقوف معاً والسقوط معاً من اجل تحقيق المطلب الاعلى ،
في جهاد ضد الفساد والرزائل ، ولنصرة الحق الكلي والعدل الكلي والجمال
الكلي والحب الكلي ولرفض اللذات الجسدية غاية في ذاتها ، التي هي اعظم
مصدر للاذى والبغض والعدوات الصغيرة ، اللبسة ، الحقيرة ، التي لا ترى في
الكون غير صغرها ولومها وحقارتها .

طريق الفكر السوي

طريق الفكر السوي

وليتكف شياط القطر

وليتكف هذه البص

كالأرض ان كانت جفراء

كان ياتها الأوطر

فما هو كل من القسيمة، السموة النبوية وانما رخصت للسمود

التي هي القطر في حلقه، ويكمن تحتها في الحقل والواشي، فقلت انما

سمود الشار، هو رقة بوجه لكل ما فيها من سواد واشواق حنانية ولا

عاقبة تفسد، واليا تنفذ من الأرض السويهي عند خروج حذوة مثلها الأصيل

حيث تنشق النفس من قود حياض ماء النوح، وذلك الفرائض ومثاقيلها، فليس

شأنه حياض من رخصت من السواحل المأهولة بالانسان والحيوان والجماد

الذرة والذرة والذرة

يكون الحياض من السواحل المأهولة بالانسان والحيوان والجماد

التي هي القسيمة على الزفر في حلقه، فقلت انما

في جهاد عند النداء والرهائن، وانصرة اطق الحسني والميل لكل والجماد

الذي والخطب النكي، ولوهج البسات القسيمة في رانيا، والسي من اعظم

عند القوي، واليمن والسموات القسيمة في الحياض، والي لا يرد في

الكون من السعد ولو ساء وعظاها

طريقَ الفكرِ السوري

إذا فست شقيق معلوف بالمقياس الذي وضعته للشاعر وهو : «الشاعر + هو الذي يعني بأبراز اسمى واجمل ما في كل حيز من فكر او شعور او مادة» وجدته شاعرا شاعرا . فهو ارتقى بموضوعه الى اعلى علوه ضمن حيز الفكر والشعور الذي لازمه ، وهو حيز نظرة قصيرة ، قديمة ، جامدة .

ان فهم الحب كما ورد في «عبر» ليس نظرة خاصة بشقيق معلوف ، بل مشتركة بين جميع شعراء اللغة العربية الذين ورثوا خطط الادب العربي . فالحب المادي المتخذ شكلا في اللذائذ الجسدية هو المطلب الاعلى في الادب العربي كله . ضمن هذا الحيز الروحي نشأ شعراء اللغة العربية وضمنه انشأ شقيق معلوف «عبر» لتكون نصبا فخما ، جميلا لنظرة الحياة الباطلة الفانية ، فاجاد اجادة كبيرة وابدع التصور والتصوير . فذهب في فن الشعر الى ابعد ما سمح له حيز النظرة الى الحياة والكون والفن المذكور آنفاً . وهذا شاهد آخر على انه لا يمكن رفع مستوى الادب الا باعتناق نظرة الى الحياة اساسية ، جديدة توحي عالماً جديداً من الفهم والطالب والغايات وليس كما يقول طه حسين بزيادة الاطلاع في الادب القديم وفي الاداب الاجنبية القديمة التي انشأت الادب الاجنبي الحديث . فشقيق معلوف يكشف في «عبر» عن اتصال وثيق بالادب العربي القديم وبشؤون النفسية العربية وخيالاتها ومثلها . وقد احدث في القصيدة المذكورة اشكالا هي غاية في الابداع والابتكار في الاسلوب . واذا كان المقصود من تجديد الادب ارتقاء اساليبه واحداث انواع من المجاز جديدة

فقط ، مع بقاء النظرة الى الحياة على حالها ، « فعبر » تعتبر تجديد آها ماً . ولكني ارى المقصود من طلب ادب جديد هو الوصول عن طريقه الى فهم جديد للحياة +
يرفع الانفس الى مستوى اعلى ويمكنها من ادراك حيز جديد من النظر النفسي مشتمل على مثل عليا جديدة تتبلور فيها امانى الحياة واشواقها المنبعثة من خصائص نفسياتها الاصلية ، والا فكل تجديد شكلي لا يحمل تجديدأ في الاساس هو من قبيل اللهو الباطل والذات الزائلة التي لا بقاء ولا استمرار لها الا استمرار تكرارها المل .

ان في « عبقر » ابتكاراً جميلاً في الشكل او الاسلوب ، ولكن هل حملت الى الانفس اتجاهها جديداً ، اعلى مطلباً وارقى غاية واسمى نهاية ؟ كلا . قلت فيما سبق ان التناقض بين غاية « تمثيل العصر » ، التي طلبها كبار ادباء العصر الحالي من نظرة جديدة الى الحياة ، والحاجة الى التجديد هو في بعد الادباء الذين عاجلوا الموضوع حتى الان عن صلبه وعن قضاياها الكبرى التي ليست هي قضايا ادبية بحت .

ان في سورية حاجة الى التجديد الادبي ، ليس لمجرد التجديد وتغيير الاساليب واظهار اشباح جديدة ، بل للوصول الى التعبير عن نظرة الى الحياة والكون والفن جديدة ، قادرة على استيعاب المطالب والمطامح النفسية المنطبقة على خطط النفس السورية . كل تجديد غير هذا التجديد يزيد في هيام النفس السورية وظلمتها التي اكتنفتها منذ شذت عن محورها الاصيلي بعامل الفتوحات البربرية ، التي قطعت بين ادب سورية وخططها النفسية . وان من شروط النظرة الجديدة الى الحياة والكون والفن ، الصالحة لتقدم الحياة الانسانية + وارتقاها ، ان تكون نظرة ذات « اصل » والا كانت عارضا من العوارض التي تلغي الشخصية والنفسية وخصائصها فتضل النفس وتجار لا تدري ما هي

حقيقتها ولا ما هي او هاما كقول شاعر « عبقر » :

ما الفرق في نومي وفي بقطتي وكل ما في بقطاتي رومي؟

لأن نجد النفس السورية شيئاً من خصائصها واصولها في ابتكارات « عبقر » الشعرية المشتعلة على طائفة من الحرفات العربية الحالية من المغزى الفلسفي ومن العلاقات بيجري الفكر والشعور الانسانيين الراقين كما ترسمه الاساطير السورية التي جاءت النظرة السورية القومية الاجتماعية الى الحياة والكون والفن تربل الطبقات التي تراكت عليها ودفنتها ، وتوجد الاستمرار الفلسفي بين السوري القديم والسوري القومي الاجتماعي الجديد . ويظهر الفرق العظيم في النتائج الروحية بين الاهتمام بالحرفات والمواضيع الغربية ، بدون نظرة واضحة ، اساسية الى الحياة والكون والفن ، والعناية بالاساطير الاصلية ذات المغزى الفلسفي في الوجود الانساني ، بوعي لنظرة اساسية الى الحياة والكون والنن ، من ايراد بعض الامثلة :

ليست قصة ادون او ادونيس مجبولة . وكل متأمل فيها يجد لها مغزى وعلاقة وثيقة بيجري الحياة . وهذه ليست القصة الاسطورية الوحيدة . ففي اكتشافات راس شمرا ، قرب اللاذقية ، التي ورد ذكرها فوق ، ظهرت حقائق رائعة عن عظمة التخيل السوري والتفكير السوري في الحياة وقضاياها الكبرى . وهذه الحقائق لا تعلن شيئاً اقل من هذا الواقع : ان اهم الاساطير اليونانية واهم قصص اليهود الاساسية المثبتة في التوراة مأخوذة عن اصول سورية ككشف عن قسم كبير منها في روايات وقصائد وجدت في تنقيبات راس شمرا بين ١٩٢٩ و ١٩٣٢ ، كما كان قد كشف عن قسم هام منها في نينوى واشور ونمرود وبابل وسواها . في سنة ١٩٢٩ اكتشفت بعثة التنقيبات في راس شمرا ، التي رأسها كلود ف . ر . شيفر ، شكلاً قديماً من الحروف الهجائية لم يكن

معروفا من قبل . الشكل هو اقدم ما عرف ، وهو ايضاً فينيقي (كنعاني)
الا ان الحروف ذات خصائص مسارية . وهذا دليل جديد قاطع على نشوء
الحروف الهجائية في سورية ، التي حاول عدد غير يسير من المؤرخين
المفرضين حرماتها من فخر اختراعها . بناء على اهمية هذا الاكتشاف العظيم وما
جلاه من الحقائق العلمية الرائعة سأل معهد النقوش في باريس ومتحف اللوفر
ودائرة التهذيب العمومي الفرنسية ، بالاشتراك فيما بينها ، السيد شيفر ، بين سنة
١٩٣٠ و سنة ١٩٣٢ قيادة بعثة جديدة الى راس شمرا للبحث عن اصول حرفية
غير التي اكتشفت اولا وعن بقايا ارخولوجية . ويقول رئيس البعثة في
مقالة عن اعمالها نشرتها مجلة « ناشن جيوقرافك ماقرين » الاميركانية في
عددتها الصادر في يوليو ١٩٣٣ : « ان نتائج هذه الحفريات الجديدة
فاقت جميع التكهينات وجعلت راس شمرا من اهم الرسوم الارخولوجية
في الشرق القديم »

ما يعيننا في هذا الموضوع ، من اكتشافات راس شمرا ، هو القوائد
والملاحم الرائعة ، التي تثبت بدون شك ان الشعر الكلاسيكي ابتداء في سورية
وعنه نقل الاقربك ، الذين تعاونوا هم والرومان على غمط سورية حقها في الابداع
الفني وقيادة الفكر الانساني . يقول المكتشف :

« لم تكن خطورة اوقاريت (يرجح المكتشف ان راس شمرا هي التي
كانت تعرف في المدونات القديمة المكتشفة في مصر باسم اوقاريت) قائمة على
التجارة والسياسة فحسب . ففيها حي مؤلفون وفلاسفة عظام لثلاثة الاف وثلاث
مئة سنة خلت . وقد وجدنا فصولا كاملة من مخلفاتهم في مكتبة الهيكل في راس
شمرا . هم ايضاً كتبوا بالعلامات المسارية للاحرف على الواح كبيرة فوق المعتاد ،
قاسمين كتاباتهم الى اعمدة متعددة .

« كثيراً ما كان يحدث للمؤلف ان لا يقدر تقديراً صحيحاً طول الكتاب الاخذ في كتابته فيضيق مجال الفصول الاخيرة . فيضطر الى تقريب السطور الاخيرة بعضها من بعض ، كما يفعل الكاتبون العصريون على الآلة الكاتبة حين يستعمون « الفسحة المفردة الدرجة » ، والى تصغير حروف هذه السطور . وقد تجمع لدينا عدة فصول من مؤلف واحد تزيد على الف كلمة ، ويحتمل ان يكون عدد عبارات المؤلف كله اكثر من ثلاثة الاف بيت . وهذا المؤلف هو ملحمة بطولية .

« قبل البادة هو ميرس الخالدة بزمان طويل انشأ المؤلفون الفينيقيون (الكنعانيون) في اوقاريت الملاحم في مغامرات غريبة لبطل اسطوري يدعى طافن (او طافون) . كان هذا البطل هو المصطفى عند بعض الالهة الذين كانوا كثيراً في دار الالهة الفينيقية . ونص راس شمر المكنشف يروي انه كان هنالك لا اقل من خمسين الهاً وخمس وعشرين الهة . فلم يكن طافون يقدر ان يتجنب جلب عداوة بعضهم على نفسه بسبب تميزه في مشاحناتهم . هذه الالهة الفينيقية نظير بروح حربية منتقمة وقاسية .

« ايل (او ال - يعني الاله) ، اب الالهة الكبير جداً ، الذي يسميه المؤلف « ملك السوم » ، ملك اومولوخ ، اي « ملك السنة » يبذل الجهد عبثاً لحفظ السلام بين ولده . وهو ، مع ذلك ، ليس كلي القدرة ، لانه كثيراً ما يضطر لقبول رغائب زوجته الالهية عشيرة او اشرة ، الهة البحر ، التي لها سبعون ولداً تفضل بعضهم على بعض . هذا التخصيص هو سبب المشاحنات في علكة الالهة .

« المقاوم الاكبر والالذلايل هو بعل ، المستبد منذ ولادته ، الطامح الى الملكية المطلقة . ورواية العراك بين ملك السنة ، الشيخ المادل ، وبعل

هي رواية ذات جاذبية نادرة وغنية بالمواقف المثيرة الشعور . وبعل ينتصر في
الاخير والشباب بكل قسوته وظلمه يغلب جرمة السن . وهذه هي المبرة التي
يريد المؤلف ابرازها .

« القتال بين معط وعلين »

« على لوح آخر من الواح راس شمرا مدون وصف للقتال بين «معط»
الرامز الى الطبيعة المثمرة و «علين» الذي يملك على الغيث والريح .
« قتل معط علين فصار الناس يشكون الى الالهة . فقد جفت الارض
بسبب قتله وامست السباع تطوف بالمدن . فتنهض الالهة اناة (او عناة) ،
اخذت اله الغيث المقتول ، لمناقشة معط الحساب على ما جنت يده . فينكر
هدا فعلته ويعد بتحويل الصحاري الى مروج خضراء (بالنبابة عن علين) .
ولكنه يخفق وتذهب سدى جميع التقدّمات التي تقدمها اليه البشرية رجاء ان
يعطيها الغيث .

« حينئذ ينفذ صبر اناة فتأخذ منجلا وتضرب به معطيا فنقتله . ثم تحرق
جثته . وقد تأكل بعضها ، وتذري البقية في الحقول . وهكذا يتحول معط
الى الانتاج او الحصاد الذي يسقط تحت المنجل ليعطي الحيز للانسانية
« يداد انتقام اناة بيمت علين ويعود المطر الى السقوط .
« يدخل في هذه الحكاية اشخاص الهة آخرون . ولكل منهم رسالة يودها :
الحكمة ، اله الحكمة الذي يذكر الناس بالصبر ويدعوهم الى التسليم للقدر .
وادرن ، ادرئيس الفيديقيين الكلاسيكيين ، الذي يلاء نفوسهم بالجل والحماسة
للجهل والحب . ثم الالهة امة ، خادمة اثرة القوية ، ام الالهة ، التي تُري الناس
كيف يصنعون الاجر من الطين لبناء بيوتهم .
« وابل نفسه (رمز الشباب) يعقد عزيمته ويُقدم على قتال الافقى ذات

السبعة رؤوس ، التي كان البشر يخافونها خوفاً شديداً . اسم هذه الاعمى في
نص مؤلف راس شمرا « لتن » . وفي اشعيا ٢٧ : ١٦ والمزمير ٧٣ : ١٤ من
التوراة نرى الحية تحمل الاسم عينه « لتن » بتحويل قليل في اللفظ « لوبتان »
او التنين (اشعيا : في ذلك اليوم يفتقد الرب بسيفه القاسمي العظيم الشديد
الوبتان الحية المقومة ولوبتان الحية المتأوبة ويقتل التنين الذي في البحر . المزمير :
انت رخصت رؤوس لوبتان . جعلته ما كلالزم القفار) . هنا نلمس انباء
ذات خطورة مهيبة وثوروية .

« جميعنا نتذكر دانيال ، الذي كان ، مع نوح وايوب ، من اتقى اهل
زمانه . دانيال يظهر في احد نصوص راس شمرا باسم دين - ايل ، الذي يجب
ان يترجم : دين او دينونة الله » .

هنالك حقائق اخرى غاية في الخطورة وردت في مقالة مكتشف اثار راس
شمرا ولكنها ذات علاقة قليلة بموضوع هذا البحث فلا اعرض لها الان . اما ما
توجهته آنفاً من مقالة المكتشف واختص بالناحية الادبية فهو شيء يحرك اعماق
نفس كل سوري وكل انسان محب للفلسفة والفن .

انها صورة مختصرة ، نافذة ، سقيمة هذه الصورة التي يقدمها لنا كلود
ف . ا . شيفر في مقالة اخبارية ، مقتضبة ، جامدة لارواح فيها ولا فن . وهي ،
مع ذلك ، تشتمل على ملامح شخصية نفسية اصلية ذات سناء وبهاء . وقضاياها
تبدو وضاعة ، غضة ، كأنها انشئت امس او اليوم . فترى فيها التصور السوري
قد عرض لقضايا الحياة باسبابها واشكالها ، فتناول الشيخوخة والشباب والابوة
والبنوة والحب والبغض والحكمة والاقدام والعدل والظلم والطموح والقناعة .
ترى الشباب فيها غير نابض بثورة الشهوات والحب البيولوجي ، بل تراه في
مطامح السؤدد وفي محاربة لوبتان او تنين الرذائل الذي كان ولا يزال يخيف

النوع الانساني . وترى اله الحكمة يعظ بالتسليم للقضاء والقدر ولكن دورها
جزء من ادوار غيره وهو ليس اقواها ولعله اضعفها .
ولا ننس ملحمة جلغاس البابلية المخطومة بقصة الطوفان الرائعة ، المكتشفة
في مكتبة الملك الاشوري العظيم آشور باني بال ، التي نقلها اليهود برمنها الى
توراتهم ، مع بعض تغيير سطحي في بعض حوادثها الجزئية البسيطة .
كم يجد المؤرخون والدارسون اليونان من اجل عظمة اساطيرهم التي يعود
معظمها او اهمها الى سورية . فحكاية انتقام اناة من معط بالمنجل وذر بقاياها في
الحقول ليذبت الزرع ويسقط تحت المنجل واساطير كثيرة غيرها منقولة بجذافها
تقريباً الى الاساطير الاقريقية والعالم يعيرنا باننا نحن الذين نقلنا عن الاقريق
والعالم مديون لنا بفلسفات جليلة ويقول اننا جميعاً مديونون لليونان فقط .
منى اخذ الادياب السوربون ، الموهوبون ، المدركون سمو النظرة السورية
القرمية الاجتماعية الى الحياة والكون والفن ، يطلعون على هذه الكوثر
الروحية الثمينة ، ازدادوا يقيناً بحقيقة نظرتهم وعظمة اسبابها وبقوة الموجيات
الفلسفية والفنية الاصلية في طبيعة امتهم ، التي يؤهلهم فيها لانشاء ادب فخم ،
جميل ، خالد .

في مثل هذا الادب ، الخارج من صميم حياتنا السورية ، المؤسس على
النظرة الجديدة الاصلية الى الحياة والكون والفن ، نجد التجديد النفسي والادبي
والفني الذي نشاق ونحن اليه بكل جوارحنا .
الى مقام الالهة السورية يجب على الادياب الواعين ان يججوا ويسبحوا
فيعودوا من سياحاتهم ، حاملين بنا ادبا يجعلنا نكتشف حقيقتنا النفسية ضمن
قضايا الحياة الكبرى التي تناوها تفكيرنا من قبل في اساطيرنا ، التي لها منزلة في
الفكر والشعور الانسانيين نسمو على كل ما عرف ويعرف من قضايا الفكر والشعور .

الآن اخاطب ، انا ، جمع شعراء سورية قائلاً :

تعالوا نرفع لهذه الامة التي تتخبط في الظلمات مشعلا فيه نور حقيقتنا
وامل ارادتنا وصحة حياتنا . تعالوا نشيد لامتنا قصوراً من الحب والحكمة
والجمال والامل بمواد تاريخ امتنا السورية ومواهبها وفلسفات اساطيرها وتعاليمها
المتناولة قضايا الحياة الانسانية الكبرى . تعالوا نأخذ بنظرة الى الحياة والكون
والفن ، نقدر ، على ضوءها ، ان نبعث حقيقتنا الجميلة العظيمة من مرقدها -
حقيقتنا ، التي لا ترى الحب خدوداً ونهوداً وقدوداً دونها القناد والقض ، ولا
ترى الشباب افواهاً ملصقة بافواه وشرراً محتدماً في المقل وتغوراً لاهبة
تضطرم فيها شعلات القبل ، بل ترى الحب نفوساً جميلة في مطالب عليا عظيمة
تحمل النفوس في سبيلها المشقات الهائلة ، التي يذلها اتحاد النفوس في وحدة
الشعور والمطلب - الحب الذي اذا قرب فما الى فهم اسكب نفساً في نفس ، وكل
واحدة تقول للآخرى : اني معك في النصر والاستشهاد من اجل ما نابى نفسانا
الاه ولا تستعظمان امرأ ولا تضحية يكون بهما بلوغه والاحتفاظ به . وترى
الشباب ، كما تمثله الاساطير السورية في شخص بعل ، قوة عظيمة غرضها قتل
لوبتان الرذائل والحسائس والقبايح . وبهذا المعنى الجميل ، الراسخ في اصول
الحياة السورية وتقاليدها ، يجب ان نفهم قول الشاعر السوري الخالد ، المعري :
ان الشيبه نار ، ان اردت بها امرأ فبادره ، ان الدهر مطقها
تعالوا نأخذ بنظرة جديدة الى الحياة والكون والفن ، وبفهم جديد
للوجود وقضاياها ، نجد فيها حقيقة نفسيتنا ومطامحنا ومثلنا العليا . تعالوا
الى الحرية والواجب والنظام والقوة ، ليس لانها شعار حزب سياسي
اجتماعي ، بل لانها رمز فكرنا وشعورنا في الحياة ولذلك صارت شعار
حركة البعث القومي ، التي وضعنا فيها كل رجائنا وكل قوتنا وكل ارادتنا .

تعالوا نقيم ادبا صحيحاً له اصول حقيقية في نفوسنا وفي تاريخنا .
 تعالوا نفهم انفسنا وتاريخنا على ضوء نظرتنا الاصلية الى الحياة والكون والفن
 بهذه الطريقة نوجد ادبا حياً جديراً بتقدير العالم وبالخلود .

تعالوا نقيم ادبا صحيحاً له اصول حقيقية في نفوسنا وفي تاريخنا .
 تعالوا نفهم انفسنا وتاريخنا على ضوء نظرتنا الاصلية الى الحياة والكون والفن
 بهذه الطريقة نوجد ادبا حياً جديراً بتقدير العالم وبالخلود .



تعالوا نقيم ادبا صحيحاً له اصول حقيقية في نفوسنا وفي تاريخنا .
 تعالوا نفهم انفسنا وتاريخنا على ضوء نظرتنا الاصلية الى الحياة والكون والفن
 بهذه الطريقة نوجد ادبا حياً جديراً بتقدير العالم وبالخلود .

مدوا نورا على وجهه من نور عرشه في نور عرشه
فلا تظلمة انكسرت ولم تجف على ضوء نورنا الاضواء في الخيال والكرام والن
بذلك الطريقة توجد اذ جبا جنت استسواء العالم ومخلوقه

يعني من باب ما لا يقبله



طريق الادب السوري

هذا الاتجاه الجديد يمكن ان يترافق الادب والحياة ، فيكون لنا ادب جديد حياة جديدة فيها فهم جديد للوجود الانساني وقضاياه التي نجد فيها الفرد والمجتمع وعلاقتها ومثلها العليا كما تراها النظرة الجديدة الاصلية الى الحياة والكون والفن . ان الادب الصحيح يجب ان يكون الواسطة المثلى لنقل الفكر والشعور الجديدين ، الصادرين عن النظرة الجديدة ، الى احساس المجموع وادراكه والى سمع العالم وبصره فيصير ادبا قوميًا وعالميًا لانه يرفع الامة الى مستوى النظرة الجديدة وبضيء طريقها اليه ، ويحمل ، في الوقت عينه ، ثروة نفسية اصلية في الفكر والشعور والوانها الى العالم .

لا يمكن ان ينهض الادب عندنا ولا ان يصير لنا ادب عالمي يستوعب اهتمام العالم وتكون له قيمة عالمية باقية الابد في الطريقة . ولنفترض انه يمكن انشاء ادب جديد ، او احداث «تجديد» في الادب ، من غير هذا الاتصال الوثيق بينه وبين النظرة الجديدة الى الحياة والكون والفن ، فما هي الغاية او الفائدة منه وهو شيء غريب بعيد عن نفس الجماعة وقضاياها الفكرية والشعورية ، او عن قضايا الانسانية ، كما تمثل ضمن حياة الجماعة المعينة وحين فكرها وشعورها ، في ارقى ما يمكن ان يصل اليه هذان العاملان النفسانيان .

ان الادب الذي له قيمة في حياة الامة ، وفي العالم ، هو الادب الذي يعنى بقضايا الفكر والشعور الكبرى ، في نظرة الى الحياة والكون والفن عالية اصلية ، متميزة ، لها خصائص شخصيتها . فاذا نشأت هذه النظرة الجديدة الى الحياة

والكون والفن اوجدت فيها جديداً للقضايا الانسانية كقضية الفرد والمجتمع وقضية الحرية وقضية الواجب وقضية النظام وقضية القوة وقضية الحق وغيرها. وبعض هذه القضايا يكون قديماً فيجدد بحصول النظرة الجديدة الى الحياة وبعضها ينشأ بنشؤ هذه النظرة مفاجئة، مثلاً ، كانت تفهم قبل النظرة الجديدة الى الحياة في اشكال واعتقادات لا وضوح ولا صلاح لها في النظرة الجديدة . فلما جاءت النظرة الجديدة الى الحياة والكون والفن ، التي نشأت بسببها الحركة السورية القومية الاجتماعية ، وقرنت الحرية بالواجب والنظام والقوة ، وفصلت الحرية ضمن المجتمع وتجاه المجتمعات الاخرى هذا التفصيل الواضح ، الظاهر في تعاليمها ، نشأت قضية جديدة للحرية ذات عناصر جديدة يبينها فهم جديد يتناول اشكال الحياة كما تراها النهضة القومية الاجتماعية ، وفعل الحرية وشأنها ضمن هذه الاشكال . والحب كان قضية شہوات جسدية ملتبهة لها شكل مادي يظهر في العيون الرامية سهاماً وفي سحر الرضاب وفي ارتجاف الضلاع وتنهي القدر ، فصار قضية جمال الحياة كلها واشترك النفوس في هذا الجمال . عرض علي ، مرة ، سجل امثال واقوال فرأيت فيه قولاً مفاده ان الصداقة اجمل ما في الحياة ، فكتبت في صفحة منه : « الصداقة هي تعزية الحياة اما الحب فهو الدافع نحو المثال الاعلى » . ومها يكن من امر رائي في الصداقة فراي في الحب يدخل في قضية الحب الجديدة . فالمثال الاعلى هو ما تراه نظرة الى الحياة والكون والفن واضحة ، معينة . والحب الواعي هذه النظرة يتجه دائماً نحو مثاها الاعلى ويرمي الى الاقتراب منه ، في كل اختلاجة من اختلاجاته . ان قضية كون الوصال غاية المطالب العليا النفسية هي قضية قد ماتت للنظرة الجديدة الى الحياة والكون والفن وحلت محلها قضية كون الحب اتحاد فكو وشعور ، واشترك نفوس في فهم جمال الحياة وتحقيق مطالبها العليا .

لقد نشأت نظرة الى الحياة والكون والفن جديدة في سورية ونتج عنها مجرى حياة جديد لتيارات النفس السورية التي كانت مكبوتة ومحبوزة . فهل يتنبه لهذه الحقيقة ادباء سورية ، وخصوصاً شعراؤها ، ويلبسون هاتف الدعوة ويشتركون في رفع الشعب السوري الى مستوى النظرة الجديدة ومثلها العليا ، ويوجدون هذا الادب الغني بالتضاياف الفكرية والشعورية التي كانت كامنة في باطن نفوسنا حتى ظهرت في النظرة الجديدة الى الحياة ؟

لا شك عندي في ان هذا ما يحدث الان عند جميع الادباء الذين اتصلوا بالنظرة الجديدة الى الحياة والكون والفن ، وفهسوا قضاياها الكبرى في الحقوق والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، وفي الاخلاق والمناقب والمثل العليا . واني موافق بان هذا ما سيحدث لجميع الناشئين على اتصال وامتزاج بهذه النظرة المحيية . ولكنني اشك في امر الادباء الذين نشأوا قبل ظهور النظرة الجديدة الى الحياة وظلوا يعيدون عن مرامها وقضاياها الكبرى وغير متصلين بمجى الحياة الجديد الذي ولدته هذه النظرة ، او الذين ، مع احساسهم بمجى الحياة الجديد ، لم يجدوا في نفوسهم قوى كافية لنقلهم من حيز نظرة الى حيز نظرة اخرى ومن اتجاه مجرى الى اتجاه مجرى آخر .

بعض العمل المانعة هؤلاء الادباء من الاخذ بالنظرة الجديدة الى الحياة والكون والفن واضح في النزعة الفردية التي دلت عليها في كتاب السيد يوسف المعارف الى نسبيه الشاعر ، شقيق معلوف ، اذ يقول له : « اعتمد في مؤلفاتك المقبلة ان انت تكون مبتكراً فيما تنزع اليه ، سواء كان بالفكر او بالعمل ، وان تكون مقكداً لا مقكداً في سائر اعمالك ، لان على هذه القاعدة الاساسية تتوقف شهرة المرء في الحياة . وقد بينت في صدر هذا الدرس غلط هذا التفكير الذي يجعل الشهرة الشخصية غاية الفكر والعمل في الحياة . وازيد هنا ان العمل بهذه القاعدة الاساسية ، التي

وضعها عم الشاعر المذكور يؤول الى هدم الحقائق الاساسية التي يجب ان تكون بغية كل تفكير تعميري وكل شعور حي ، جميل ، لانه متى صار كل نابه يسعى ليكون مقلداً ، فكم تكون التفرقة والفوضى عظيمنتين بين المتزاحمين على « الابتكار » بقصد الشهرة والاستعلاء على زملائهم ، الذين يصيرون اندادا؟ الا يبلغ بهم التزاحم والمناقضة حد العداوة والبغضاء والحسد المستورة بظواهر شقافة من الرياء والتدجيل في المظاهر والمطالب ؟

قلت في ما تقدم ان شفيق معلوف قبل القاعدة الفردية التي وضعها عمه ، ولكنه لم يتقيد بها كل التقيد ، لانه احتساج الى توير تجاراته سواء في شعره فقال : « ولئن طرقت بابا ووجه سواي فهل في كل ما تتناوله القرائح ما لم يطرق الناس بابه ؟ » . وقلت ايضاً ان شفيق معلوف كاد يصل ، من هذه الناحية ، الى طرق باب يفتح عن افق تنبليج فيه انوار فجر تفكير اصلي جديد ولا يتصر الا خطوة او قفزة واحدة ليلج هذا الباب . فما هي هذه الخطوة او القفزة وكيف تكون ؟

سبق لي القول ان الخطوة المطلوبة تفصل بين عالمين وقد تحتساج لعكاز . ذلك لانها تنقل صاحبها من نفسية الى نفسية ومن نظرة الى نظرة ، فيصيرها عالم جديد باشكاله والوانه وغاياته ومثله . الخطوة او القفزة المطلوبة تكون باستعمال جميع القوى النفسية لرفض عالم النزعة الفردية والغايات المادية ، وترك جعل حب ابراز الشهرة الفردية غاية اخيرة للفرد ، والقفز الى عالم ابتغاء الحقيقة الاساسية الكبرى التي يستقر عليها الفكر ويطنئ اليها الشعور ، واتباعها حين توجد ، سواء اوجدت بالاهتداء الذاتي ام بهدي هاد . هي حقيقة الفرد والمجتمع وحقيقة النفسية السامية التي انتصرت على قيود المادية المجلجلة في الحضيض وحلقت الى السماء - السماء التي لا تخلو من

ألم وعذاب ولكن المها وعذابها ليسا من اجل الشهوة المتلذذة في المهبج ، بل من اجل ما هو اسمى من ذلك بكثير - من اجل ما لو اطفى لظى الشهوة الجسدية وقضت النزعة البيولوجية وطرها لظل لظاه يلذع النفوس ويعذبها حتى تجد له تحقيقا - من اجل خذل الاقبح والاسفل والارذل والاذل ، ورفع الاجل والاسمى والانبل والاعز ، فلا تكون هنالك اختلاجات حب الا ضمن دائرة هذا الوعي الذي يرفع قيمة الانسانية طبقات جوية فوق القناعة براحة النزعة البيولوجية ذات الارتباط المادي ، الغافلة عن المطالب النفسية الجميلة في نظرة شاملة الحياة والكون والفن .

القاعدة الذهبية ، التي لا يصلح غيرها للنهوض بالحياة والادب ، هي هذه القاعدة : طلب الحقيقة الاساسية الكبرى حياة اجود في عالم اجل وقيم اعلى . لا فرق بين ان تكون هذه الحقيقة ابتكارك او ابتكاري او ابتكار غيرك وتغيري ، ولا فرق بين ان يكون بزوغ هذه الحقيقة من شخص وجيه اجتماعيا ذي مال ونفوذ ، وان يكون انبثاقها من فرد هو واحد من الناس لان الغرض يجب ان يكون الحقيقة الاساسية المذكورة وليس الاتجاه السليبي الذي تقرره الرغائب الفردية ، الحصرية ، الاستبدادية .

وقد قرب شفيق معلوف كثيراً من هذه القاعدة في جوابه الى عمه ولكنه وقف خطوة دونها فاذا هو خطاها تم له هذا الانتقال الفامل من عالم الى عالم واستغنى عن نصائح عمه ، التي تحتاج لغربة متكررة ، وعن ارشادات امين الريحاني الغامضة ، الحاوية ، التائهة وعن تخطيط الادياب السوريين والمصريين في « التجديد » وكيف يكون .

اعتقد ان لشفيق معلوف هذا الاستعداد العقلي - الروحي لادراك القاعدة المذكورة آنفاً والغاية النفسية الاخيرة التي يقوم عليها ادب خالد . فهو قد

وقف قريباً جداً من هذا الإدراك الذي وقف معظم شعراء سورية ومصر وادبائها بعيدين جداً عنه . وهو الإدراك الوحيد الذي يمكن ان يجد مستقراً في النفوس وفي الاجيال . وكان اقتراب شفيق معلوف واضحاً في قوله : « اذ ليس الشاعر ، في عرفي ، من ضج له الجليل الواحد ، حتى اذا تبدلت الاوضاع واختلفت الاحوال تناسته من بعده الاجيال » . وهذه منزلة لا يمكن بلوغها الا بالانصال بنظرة جديدة الى الحياة والكون والفن مشتملة على حقيقة اساسية صالحة لانشاء عالم جديد من الفكر والشعور ، اذا لم يكن هو العالم الاخير ، الاسمي على الاطلاق ، عند المشككين ، فهو عالم فوق العوالم الماضية ودرجة لا يد منها لاطراد ارتقاء الانسانية النفسي ، ولذلك هو عالم خالد ، لان ما سيأتي بعده في الآباد البعيدة سيصدر عنه ويثبت نفسه عليه ، او ، على الاقل ، ستكون النفوس التي ارتقت الى هذا العالم الجديد مستعدة لاقبال عالم اجد ، اذا كشفت مخبات الابد انه سيكون ممكناً احداث ذلك العالم ، الذي لا يمكننا ، الان والى امد بعيد ، تصور موجباته وحقائقه وقضاياه ، ولكننا نتصور ، بموجب مبدأ الاستمرار والاطراد الفلسفي ، الذي اضعه نصب عيني في فهمي الوجود الانساني ، انه لا بد من ان يكون ذا اتصال وثيق بعالم نظرنا الجديدة وحقائقه وقضاياه ، كما اننا نرى ، بموجب هذه النظرة ، ان عالمها ليس شيئاً حادثاً من غير اصل ، بل شيئاً غير ممكن بدون اصل جوهرى تتصل حقائقه بحقائقه ، فتكون الحقائق الجديدة صادرة عن الحقائق الاصلية القديمة بفهم جديد للحياة وقضايها والكون وامكانياته والفن ومراميه .

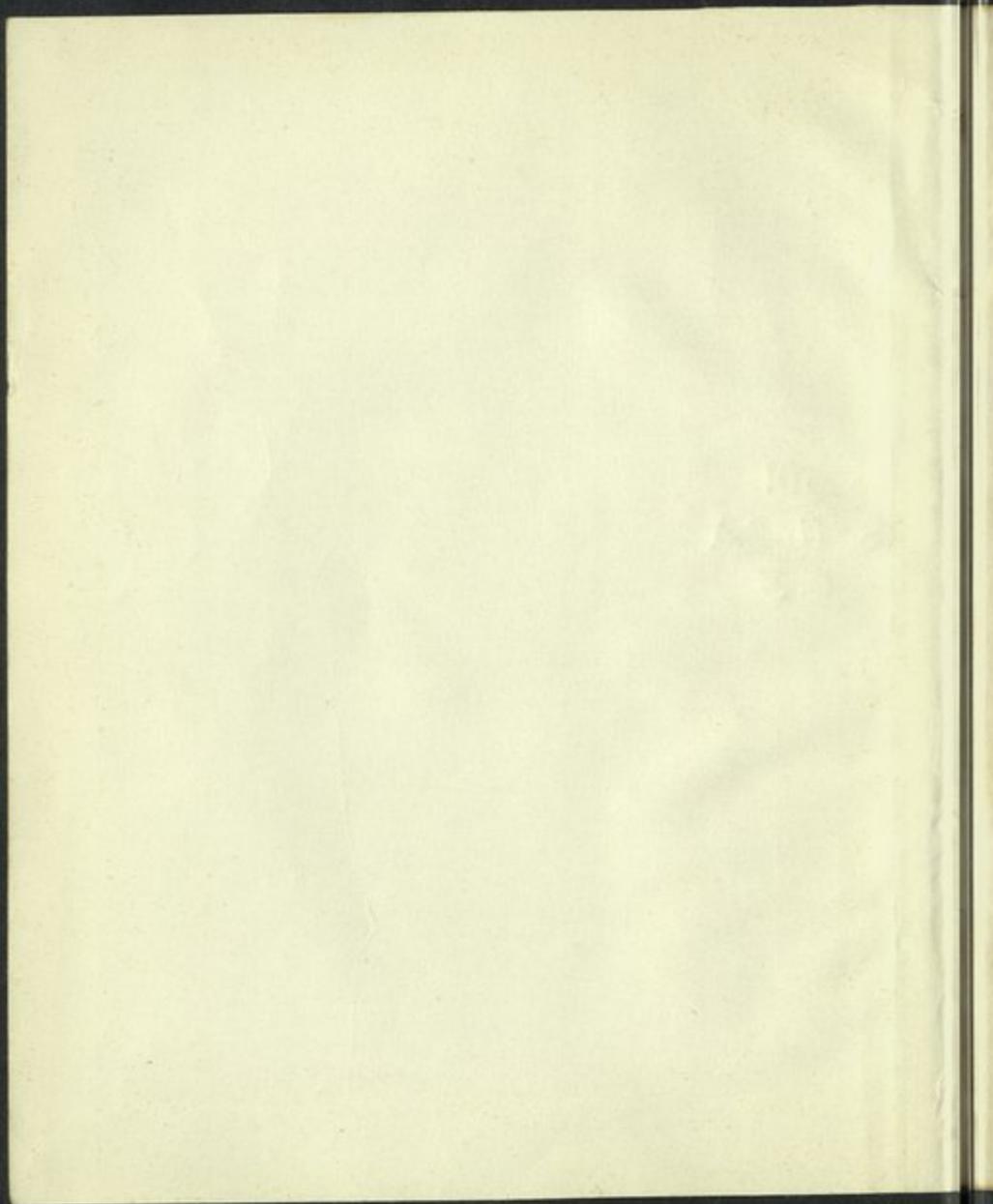
ها قد بلغت غاية ما اردت توجيه فكر ادباء سورية وشعورهم اليه في هذا الدرس المستعمل ، المقاطع مراراً عديدة في سياقه . ورجائي اليهم ان لا يظنوا ان ما دفعني اليه هو محبة سبقهم الى الابتكار ، او رغبة في ان

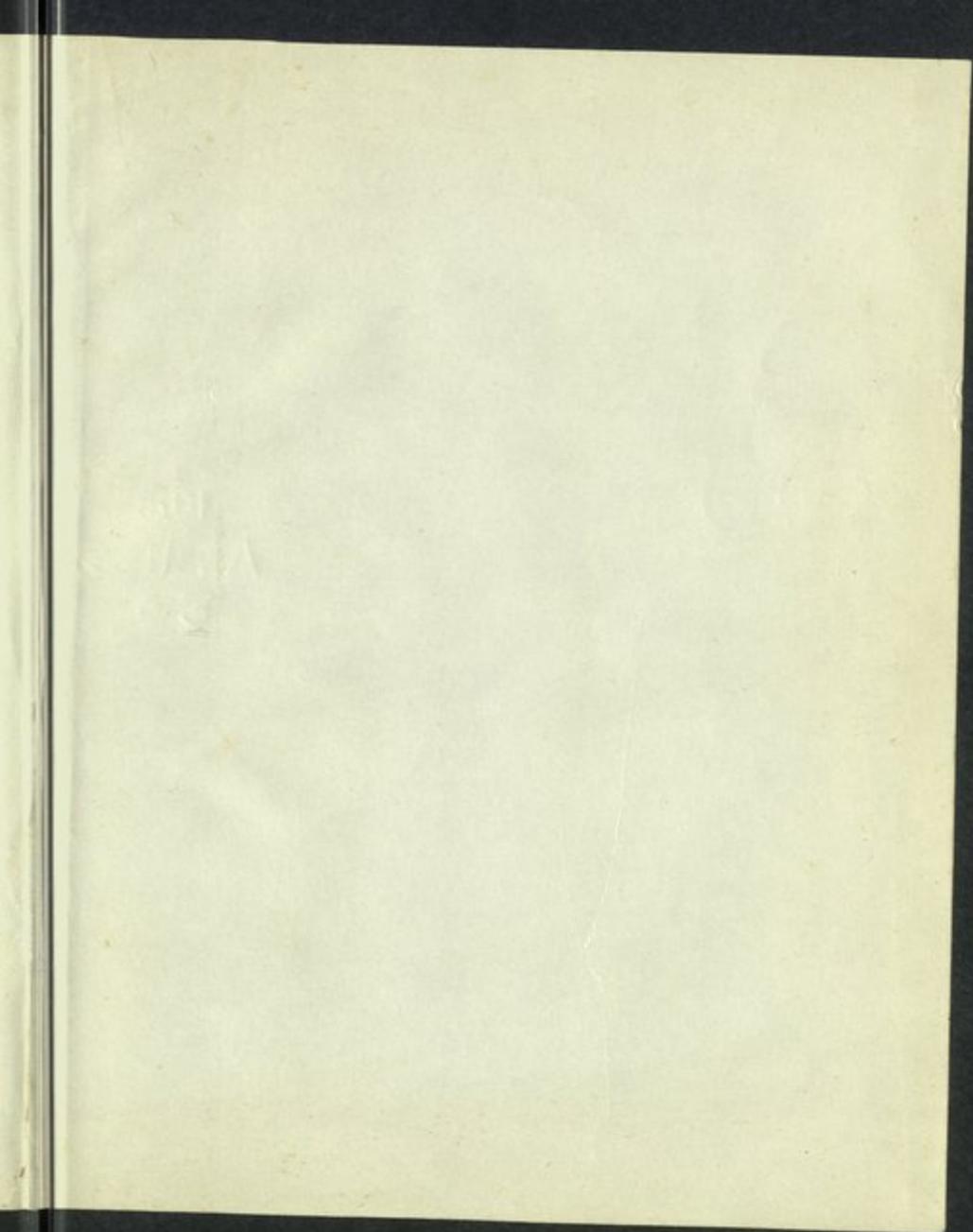
اكوث « مقلداً » . ان ما دفعني اليه هو محبة الحقيقة الاساسية ، التي وصل اليها تفكيري ودرسي ، واوصلني اليها فهمي ، الذي انا مدينون به كله لامتي وحقيقتها النفسية ، وشعرت بالواجب بدعوني لوضعها امام مفكري امتي وادبائها وامام امتي باجمعها ، من اجل ما هو ابقى وافضل واسمى حقيقة الامة . وهي حقيقة تساعد كل مفكر واديب على تثبيت شخصيته ضمنها والبقاء فيها ، وتمكن الامة من ان يكون لها ادب عالمي تبقى فيه شخصيتها وتخلد .



كتب اخرى للمؤلف

- عيد سيده سيدنايا
قصة (طبعت في بيروت ١٩٣٢)
فاجعة حب
قصة (طبعت في بيروت ١٩٣٢)
نشوء الامم
(درس علمي دقيق في تطور الانسانية ونشوء الامم
طبع في بيروت ١٩٣٨)
دمية
قصة الفها في السجن ١٩٣٧ ولما تطبع





10
ASSISTANT
SECRETARY

A.U.B. LIBRARY

CA: 892.709 S111sA

سعادة: انطون

الصراع الفكري في الادب السوري
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01060276

CLOSED AREA

S111sA
CA: 892.709, 828 **CLOSED AREA**

انطوان سعادة

CA

CLOSED AREA

892.709

S111sA

CA

892.709

S1115A

C.1